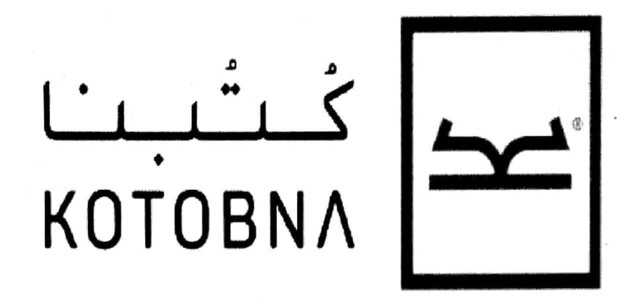
عبد العزيـز الزينـي

ملحمـــة كنـــز الهـــرم

رواية





ملحمة كنز الهرم: عبد العزيز الزيني

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٦٠٩٣
ردمك: ٠-٧٨٤-٩٩٠-٩٧٧-٩٧٨

إن منصة كتبنا للنشر الشخصي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن آراء المنصة والعاملين فيها.

وسائل التواصل مع الدار:
الإيميل info@kotobna.net
الموقع https://kotobna.net/en
الفيسبوك https://www.facebook.com/kotobnabooks/
٢٧٠٧٩٠٢٣٣١

الإهداء

أهدي كتابي هذا باكورة مؤلفاتي أرجو به مرضاة الله

إلى أعز الناس عندي أمي وزوجتي وأبنائي.

الذين أكن لهم كل الحب والتقدير.

عبد العزيز الزيني

المقدمة

تدور أحداث الرواية في وقتنا الحاضر ما بين الحقيقة والخيال، حول اكتشاف الكنز الحقيقي لأي إنسان، الكنز الذي من أجله يجب أن يواجه كافة التحديات والعقبات للعثور عليه والمحافظة على عدم فقده، فهل سيستطيع أبطال الرواية تحقيق ذلك؟

الفصل الأول

الأصدقاء

الصديق الأول

امتلأت السماء بالغيوم الكثيفة التي حجبت أشعة الشمس تمامًا، مانحة الفرصة للأمطار في الهطول بغزارة، وكأنها تُعلم الجميع على البداية الجادة لأول أيام فصل الشتاء، وفي تلك الأجواء تحرك عالم الأثار السيد (زاهر وصفي) في خطوات ثابتة تُعبر عن مدى ثقته التي يتسم بها غير عابئًا بسقوط الأمطار عليه، عابرًا مجموعة من المخيمات الخاصة بالبعثة العلمية للتنقيب واكتشاف الآثار، والمتراصة بجوار بعضها البعض أمام أحد أهم أهرامات مصر، ثم توجه مباشرة إلى الخيمة الرئيسية الخاصة برئيس البعثة وبمجرد دخوله وجد من يتحدث إليه قائلًا: مرحبًا بالمكتشف العظيم...

نظر زاهر أمامه فوجد رئيس البعثة الدكتور(فايز) هو الذي يتحدث إليه ويجلس بجواره أحد مساعديه، وأمامهم طاولة اجتماعات مستطيلة الشكل، فقام بالجلوس أمامهم ثم أجابه بامتنان: أشكرك يا دكتور على ترحيبك بي، فلولا توجيهات سيادتكم وباقي البعثة العلمية لما استطعت أن أنجح في ذلك.

فرد عليه رئيس البعثة: لا تقلل من شأنك؛ نعم نحن جميعًا اشتركنا معك، ولكنك أنت من قدتنا إلى اكتشاف سر هذا الممر الخفي المؤدي إلى غرفة الدفن الكبرى داخل «الهرم الأكبر»، والتي حيرتنا لسنوات طويلة، ثم تابع متسائلًا: كيف تمكنت من تحديد المكان المؤدي لذلك الممر بتلك الدقة؟! فرد عليه: بالتأكيد تعلم أنني لست أول من يقوم بذلك، فهناك من سبقني من العلماء الأجلاء، والذين حددوا غرفة الملكة بالهرم كبداية لبحثهم بسبب تصميمها الفريد، ووقوعها في منتصف الهرم تماما (1)، ثم تابع في فخر ومن هنا بدأت في أبحاثي التي قادتني من خلال استخدام الأشعة الكهرومغناطيسية إلى وجود فراغ تحت أحد البلاطات بغرفة الملكة، وبمجرد إزالتها تبين لنا الممر السري الذي طالما بحثنا عنه، فسأله مساعد رئيس البعثة: ولكن لماذا قام أجدادنا بتخبئة تلك الغرفة بذلك الشكل؟! فأجابه مفسرًا: لقد كان (قدماء

المصريين) أذكياء بحق قاموا بربط كل شيء بالعلم، ولهذا أخفوا المكان المؤدي إلى أسرارهم الكبرى، حتى يأتي وقت تكون فيه حضارتنا قد وصلت من التقدم للدرجة التي تجعلنا نستوعب تلك الأسرار، ثم نظر إليهم متابعًا كما أنكم تعلمون بأني لا أؤمن سوى بالعلم والعلم فقط، صمت قليلًا دكتور فايز فقد أغضبته العبارة الأخيرة ثم تحدث بضيق: أنت مخطئ في ذلك فالعلم ليس كل شيء، فرد زاهر في اقتضاب وتكبر:

هذا رأيي وأنا مقتنع به، حاول مساعد الدكتور تغيير الحديث فقد لاحظ الضيق الشديد في تعبيرات وجه رئيس البعثة، فتوجه بحديثه إلى العالم الأثري: هل تعتقد أنه يمكننا فتح الباب الحجري الذي وجدناه داخل غرفة الدفن؟ صمت زاهر للحظة ثم أجاب في حذر: ربما نستطيع ذلك في وقت ما، فاستطرد المساعد قائلًا في شغف: بالتأكيد سنجد ما لا يخطر على بالنا خلف ذلك الباب، فالكلمات المكتوبة عليه تشير على وجود كنز ليس له مثيل، قاطعه العالم الأثري في حدة: لم ينته تحليلنا بعد لتلك النقوش، فما زلنا في مرحلة الدراسة بها.

في تلك اللحظة دخل الخيمة عليهم، أحد أفراد البعثة العلمية، الذي تحدث بشكل يدل على أهمية الأمر: لقد أستقبلنا اتصال هاتفي من الخبراء الأجانب، أخطرونا به بأنهم سوف يحضرون اليوم في المساء، فرد عليه رئيس البعثة باهتمام: يجب أن يتم اخطارهم بالحضور إلى مخيم البعثة غدًا صباحًا لعقد اجتماعًا معي، فرد عليه رجل البعثة: سأخطرهم على الفور ثم قام بالانصراف لتنفيذ التعليمات.

أثناء ذلك نظر رئيس البعثة إلى زاهر يتأمل في وجهه صدى معرفته بقدوم هؤلاء الخبراء لعدم اخباره بالأمر مسبقًا، ولكن العالم الشاب لم يبدِ أي اهتمام فقد كان يعلم بذلك الأمر من أحد زملائه منذ فترة وجيزة، وبالتأكيد أي محاولات ستصدر منه للوم رئيس البعثة سيكون الرد بأنها تعليمات الرؤساء، هكذا دائما ينتهي الأمر بحضور الخبراء الذين يقومون بإلحاق أي إنجاز إليهم وبالطبع التقاط بعض الصور في النهاية بجوار المومياوات، قطع أفكاره حديث دكتور فايز مبرزًا، كأنما استمع لما يدور بداخله: هؤلاء الخبراء سوف يساعدونا فقط في اكتشاف كيفية فتح ذلك الباب

الحجري القابع في غرفة الدفن وهذا لن يقلل من انجازك في شيء، فرد عليه ببرود: بالتأكيد سوف نستفيد من قدومهم، والآن استأذن سيادتكم فسوف أذهب لترتيب بعض الأوضاع الخاصة بالعمل، وبمجرد انصرافه التفت المساعد إلى رئيس البعثة قائلًا في تعجب: على الرغم من أن السيد زاهر لم يبلغ الأربعين من عمره إلا أنه يمتلك قدرًا كبيرًا من الثقة بالنفس، فلم يبدي أي اهتمام أو ضيق بأمر حضور الخبراء على عكس توقعاتنا، فرد عليه رئيس البعثة: أوافقك في الرأي فقد أدهشني عدم تأثره بالخبر فأي عالم آخر لم يكن ليقبل أن يستكمل انجازه هؤلاء الغرباء، ثم طأطأ برأسه قليلًا ثم تحدث قائلًا ولكن للأسف إيمانه ضعيف، فتحدث إليه المساعد: نرجو من الله أن يهديه في يوم من الأيام، فرد الدكتور فايز: نعم نرجو له اختيار الطريق الصحيح والآن دعنا نراجع ترتيبات استقبال هؤلاء الخبراء الذين سيحضرون غدا...

في ذلك الوقت كان العالم الأثري يغادر منطقة البعثة الأثرية وبداخله أمر واحد فقط استحوذ على كل جوارحه وهو.. «إصراره على القيام بفتح الباب الحجري قبل أن يتمكن هؤلاء الخبراء من ذلك مهما كان الثمن»....



الصديق الثاني

« لن تعيش طويلًا »...

قام السيد (خالد لطفي) بسؤال الطبيب في تردد وخوف ما يقصده من تلك العبارة؟!

صمت الطبيب قليلًا ثم تحدث في صراحة: إذا استمريت على ذلك الوضع للأسف لن تعيش طويلا، فتابع خالد متسائلا بصوت مرتعش أقرب الى البكاء وهو ينظر في عينيه: ألا يوجد أي علاج لحالتي؟!!

فأجابه الطبيب في حزن: أنت من تملك العلاج، فمرضك نفسي وليس عضوي، ولكن استسلامك له أدى إلى تفاقم حالتك، ثم تابع متعجبًا وهو يتحرك نحو النافذة: حالتك نادرة لا أعلم كيف تمكن الخوف والوسواس منك حتى انتقل إلى افساد جسدك بهذا الشكل، ثم تابع قائلًا لن أستطيع تقديم أي شيء إليك، نصيحتي لك أن تقوم بالتقرب إلى الله وأن تستعين به في مقاومة سيطرة تلك المخاوف عليك.

تلقى خالد تلك الكلمات في حزن هائل لقد كان هذا الطبيب أمله الأخير، فهو ليس أول من يذهب إليه، لقد تنقل بين أكثر من طبيب من قبل، ولم يجد عندهم علاج لحالته، ولكنه اعتقد أنه سيجد إجابة مختلفة عند هذا الطبيب، لما يتمتع به من شهرة واسعة في علاج الحالات المماثلة، ولكن للأسف جاءت الإجابة صادمة إليه ومحطمة.

ساد الصمت بضع دقائق في غرفة نومه بمنزله، شعر خلالها بعدم قدرته على التحدث ثم وجد الطبيب يقترب منه وهو يربت على كتفه مطمئنًا له، ثم تحدث: أرجو ألا تفقد الأمل... ثم قام بالانصراف من الغرفة على الفور.

وجد نفسه راقدًا على سريره يعتصر ألمًا، لا يعلم ماذا يفعل لقد كان الطبيب صريحًا معه لأقصى حد، فكم هو يكره تلك الصراحة، ثم اندفعت تلك التساؤلات تغزو عقله كيف سيخبر والدته المُسنة بذلك؟! ومن الذي سيقوم بتربية ابنته الصغيرة؟! من أين يحصلان على المال؟! ومن الذي سوف يعتني بهما؟ ثم تذكر

أول مرة هاجمته تلك الوساوس والشكوك، لقد كان ذلك عند وفاه زوجته، فبمجرد وفاتها سيطرت المخاوف عليه حتى تمكنت ليس فقط من جسده، ولكن أيضا من روحه ونفسه، وعلى الرغم من محاولاته اليائسة في المقاومة، ولكنها جميعًا باءت بالفشل...

وفي هذه اللحظات وجد ابنته تقترب منه محتضنة له كعادتها، وبالرغم من محاولاته للتماسك إلا أنه وجد بعض الدموع تنهمر من عينيه، فقامت الابنة بسؤال أبيها لماذا أنت حزين هكذا يا أبي؟ لم أرك من قبل حزينًا بهذا الشكل؟ هل أخبرك الطبيب شيء أزعجك؟! فأجابها وهو يحاول الابتسام، ولكنه لم يستطع أن يخفي آثار الحزن التي لاحت على وجهه، ثم تحدث بصعوبة: لست حزينًا يا ابنتي لا تقلقي لقد أخبرني الطبيب أني بخير، فقالت مبتسمة: لن أقلق عليك أبدًا يا أبي فأنت أقوى من أي شيء، فرد بابتسامة ممزوجة بالألم متسائلًا: أتظني ذلك؟ قالت بإصرار: نعم يا أبي لن تهزم أبدًا، فرد عليها متنهدًا: حقًا يا ابنتي لن أهزم أبدًا ....

قطع حديثه طرق باب المنزل فقالت ابنته: أعتقد أن جدتي حضرت من الخارج سأقوم بفتح الباب، فأشار لها برأسه بالإيجاب وبعد لحظة واحدة وجدها تعود إليه مخبرة إياه أن هناك صديق له يرغب في مقابلته فأخبرها بأن تدعوه الي الدخول، ثم تحامل على نفسه حتى استطاع أن يقوم من على السرير الخاص به متحركًا بصعوبة، حتى وصل إلى غرفة الاستقبال، وبمجرد أن دلف إليها حتى شعر بالاندهاش، فقد وجد صديق الطفولة وزميل العمل (زاهر) يقف أمامه وينظر إليه وهو مبتسمًا.

توجه خالد لأقرب مقعد ملقيًا جسده عليه مشيرًا إليه بالجلوس، ثم تحدث إليه في تعجب: هذا آخر شيء يمكنني توقعهُ أن أراك في منزلي ثم أردف في عتاب: لقد مضى وقت طويل لم تحاول أن تطمئن فيه على أحوالي، بالرغم من علمك بمرضي، هب الصديق واقفًا واقترب منه حتى جلس بجواره قائلًا في هدوء المعتذر: أنت تعلم أن مشاغل العمل كثيرة، ولكني لست كما تظن، فأنا أتابعك وأعلم كل شيء عن حالتك الصحية، ثم أردف في جدية: ولكني حضرت إليك اليوم لأخبرك بأمر

هام نظرًا لاحتياجي إلى خبراتك العلمية الكبيرة في معرفة وقراءة اللغات القديمة وأهمهم الهيروغليفية، فرد عليه باهتمام: وما هو هذا الأمر الذي يتطلب خبراتي هذه؟!، فأجابه بحذر: لا أستطيع أن أخبرك هنا بهذا الأمر، ثم تابع قائلًا إذا كنت تريد أن تحصل على مال وفير، يمكن أن تتركه لتأمين ابنتك ووالدتك، فقابلني اليوم في منزلي القديم بمنطقة الأهرامات عند منتصف الليل، وهناك سوف أخبرك بكل شيء، وقبل أن يقوم بالرد عليه وجد صديقه قد هم بالانصراف، تاركًا إياه في حيرة، حول ذلك الأمر الذي يمكن من خلاله تأمين حياة أمه وابنته؟!..

الصديق الثالث

« ابنك حالته خطيرة »...

نظر السيد (رمزي عادل) إلى زوجته بضع لحظات في حنق شديد، ثم تجرع رشفة من الكوب المليء بالخمر الذي يحمله في يده، ثم سألها في غضب وما الذي يمكن أن أقدمه لك؟ ردت الزوجة في انفعال شديد: ما يجب على كل أب أن يقوم به ثم أردفت: أنت تعلم أن ابنك مريض ويحتاج لإجراء عملية جراحية على درجة كبيرة من الخطورة وهذا يحتاج إلى مبلغ مالي ضخم لن أستطيع تدبيره.

فرد عليها بمرارة: وأنت تعلمين من قبل انفصالنا بأنني لم أعد أعمل فكيف سأدبر لكي ذلك المبلغ الكبير؟! ردت الزوجة في انفعال أشد: هذه ليست مشكلتي يجب عليك تدبيره من أي طريق، فأنت الذي وضعتنا في هذا المأزق منذ ادمانك للخمر، لقد دمرت حياتنا، قاطعها غاضبًا: أنت التي تخليتي عني ولم تقفي بجانبي، فما الذي كنتِ تتوقعينه مني تجاهكم؟! ردت الزوجة في انهيار: لم أحضر اليوم إليك لكي نتبادل الاتهامات، ابننا الوحيد دخل في غيبوبة منذ قليل وقد أخبرني الطبيب المعالج له بتحديد موعد لإجراء العملية غدًا في الصباح وإذا لم تجرِ له لن يعيش.. أتفهم لن يعيش!!

تبادل الزوجان نظرات الحزن والغضب للحظات قطعها توجه الزوجة إلى باب البيت للخروج ثم التفتت إليه قائلة في رجاء: احضر مبلغ العملية .... بأي ثمن...

ثم انصرفت وهي باكية...

لم يتحرك رمزي للحظات بعد انصراف زوجته، فقد تذكر كل ما مر به معها حتى وصل به الحال إلى ما هو عليه الآن، أنه لا يملك إلا ابن واحد فقط، فكيف سيتحمل فقده، ولكن كيف سيقوم بتدبير مبلغ العملية؟، إنه لا يمتلك أي نقود، لقد أضاعها على تناول الخمر، ثم نظر في غضب إلى الكوب الملتصق بيده فألقاه على الأرض في عنف فوقع متهشمًا، ثم أغمض عينيه في أسى، وما هي إلا لحظات حتى سمع صوت طرق على باب شقته، فقام للتوّ ليتبين ذلك، وبمجرد أن قام بفتح الباب حتى انتابته

المفاجأة.

لقد وجد صديقه (زاهر) يقف أمامه متحدثًا إليه في هدوء: كيف حالك يا رمزي؟ فأجابه في اقتضاب: في أسوء حال، ثم أردف في تهكم منذ متى تزور أصدقائك السابقين يا زاهر؟!، فرد عليه في هدوء غير مبالي بفتور استقباله ولا لطريقة حديثه الباهتة: هل سنكمل حديثنا خارج المنزل أم ستدعوني إلى الدخول؟

شعر رمزي بالإحراج قليلًا، ولكنه كان لا يزال يشعر بضيق شديد من كلام زوجته إليه، فهذا ليس وقت مناسب أبدًا لاستضافة ضيف ثقيل الظل مثل صديقه هذا، ولكن بالتأكيد هناك أمر جلل هو الذي جعله يحضر إليه ولذلك لم يجد إلا أن يدعوه بالدخول وبمجرد جلوسهم، وجد صديقه يتحدث إليه بجدية قائلًا: بالتأكيد أنت مندهش من زيارتي تلك ولكني سوف أقصر عليك الطريق، لقد علمت أن ابنك حالته خطيرة ويحتاج إلى مبلغ مالي ضخم من أجل إجراء عملية له، قطع حديثه قائلًا في استنكار: لا تخبرني أنك قدمت إلي لمساعدتي في ذلك الأمر؟!، فأجابه بهدوء نعم سوف أساعدك في ذلك، سوف أعطيك المال الذي تحتاجه وأكثر، ثم وقف واتجه بنظره صوب نافذه الحجرة وقال: ولكن في المقابل أحتاج إلى خبرتك المهنية في عمل ما ثم استدار ناحيته مستطردًا: فأنت خبير في معرفة طبيعة الصخور و.. قطع رمزي حديثه متسائلًا: وما الذي تحتاجه من خبرتي تلك؟!، فأجابه في حزم: سأخبرك بكل شيء، ولكن ليس هنا، فرد عليه: ولماذا؟ فأجابه في هدوء الواثق: لأسباب لن أستطيع شرحها لك الآن!، ثم أردف: ولكن إذا أردت أن تكسب مالًا كثيرًا تستطيع به علاج ابنك قابلني اليوم في منزلي القديم أعتقد أنك مازلت تتذكره، فرد باقتضاب: نعم أتذكره، فتابع زاهر كلامه: سنتقابل عند تمام منتصف الليل وهناك سوف تعلم كل شيء، أتم جملته وهو يهم بالانصراف تاركًا إيّاه يتساءل بداخله عن ذلك العمل الذي يمكن من خلاله سداد تكاليف عملية ابنه؟!!

الصديق الرابع

«سأعود غدًا صباحًا من السفر»...

هكذا بدأ هشام اتصاله الهاتفي بأخيه الأكبر السيد (شوقي فؤاد)، الذي رد عليه في ضيق: ولماذا ستعود غدًا ألم تقل لي إنك سوف تعود في نهاية هذا العام؟! جاءه رد أخاه على الفور مفسرًا: أنت تعلم أني لم أحصل على أي إجازة منذ سفري للعمل بالخارج منذ سبعة أعوام، عملت خلالها ليل نهار من أجل تدبير مبلغ من المال أستطيع به شراء المنزل الذي طالما حلمت به، كما أني اشتاق إليك، فأنت تعلم بعدما توفى والدينا لم يعد لي أحد سواك، ولهذا قررت أن أعود في أقرب وقت، ثم أردف: لقد قمت بالاتفاق مع مالك المنزل الذي أريد شراؤه وسوف نقابله غدًا، عند وصولي لإنهاء الإجراءات ودفع قيمة شراء المنزل بالكامل، والآن أرجو منك تحضير كامل النقود التي أرسلتها إليك حتى لا نؤجل أي شيء ونسرع في ذلك الأمر، فأجابه في توتر: بالطبع يا أخي إن شاء الله تصل بالسلامة وستجد كل شيء على ما يرام ثم أنهى المحادثة وهو يرتجف خوفًا وقلقًا.

كيف سأقوم برد النقود؟!!

أخذ يدور في حجرته، ذهابًا وإيابًا، مرددًا نفس السؤال السابق عشرات المرات على نفسه كيف سأقوم برد النقود إلى أخي الأصغر؟؟؟

لقد قمت بخسارتها جميعًا على المراهنات...

ثم جلس حزينًا على أقرب مقعد وجده أمامه، يتذكر كيف انساق وراء أحد أصدقاء السوء، الذي أقنعه بأن يستغل نقود أخاه في المقامرة، على أمل المكاسب المضاعفة، فعمله كمدرس ألعاب رياضية بأحد المدارس لا يعود عليه ماديًا بشكل كافي ولذلك وافق بالقيام بذلك، وبالفعل في أول الأمر قد فاز في بعض الرهانات الصغيرة، مما دفعه طمعه إلى المراهنة بشكل أكبر، ثم قاده تفكيره السيئ وجشعه إلى أنه لو قام بالمراهنة بكامل النقود التي يحتفظ بها كأمانة فسوف يجني مكاسب خيالية، ولهذا قام بوضع كافة نقود أخاه على أحد طاولات المراهنات...وبالطبع خسر

كل شيء.

أخذ يلوم نفسه متحسرًا على ما اقترفه من إثم: لقد خنت الأمانة حقًا وأضعت نقود أخي التي أستأمنني عليها كيف سأقوم بمواجهته حين عودته؟

قطع صوت تأنيبه لنفسه رنين الهاتف الخاص به فقام بالنظر إلى رقم المتصل فوجده صديقه (زاهر).

ثم تحدث الى نفسه منفعلًا: ما الذي يريده هذا الأحمق المغرور الآن؟!! أنا لست في مزاج مناسب لسماع إنجازاته في العمل، ثم قام بالرد عليه في حدة وبدون ترحيب: اتفضل هات ما لديك!

فأجابه صديقه بجدية غامضة: أريد أن أراك للأهمية، قابلني بمنزلي القديم اليوم عند منتصف الليل، فرد عليه مندهشًا: ولماذا تريدني أن أقابلك في ذلك الوقت بالذات؟ فأجابه على الفور: سأربحك بعض النقود بدلا من التي قمت بخسارتها في المراهنات، لم يندهش شوقي كثيرًا فزاهر صديقه المقرب ويعلم عنه الكثير ثم تسائل قائلًا: ولماذا ستساعدني هذه المرة؟ لقد طلبت منك ذلك من قبل ولم تستجب لي؟!! فأجابه في ثقة: هذه المرة الأمر مختلف فأنت كنت قائدًا لفريق الكشافة خلال دراستنا بالمرحلة الثانوية ومازلت تمتلك الكثير من تلك المهارات التي سأحتاجها في عمل ما، فرد عليه مستنكرًا: وما هو هذا العمل الذي يحتاج إلى مهارات الكشافة؟!

فرد صديقه في اقتضاب: سأجيب على كل تساؤلاتك عند مقابلتنا ثم أنهى المحادثة على الفور، تاركًا صديقه شوقي غارقًا في دهشة وحيرة من أمر هذا العمل الغامض الذي يمكن من خلاله استرجاع أموال أخيه التي أضاعها!!

الصديق الخامس

«السجن هو مصير والدك»...

ثم تابع السيد (كاظم) قائلًا في حسم: لن أعطيكم مهلة أخري ...

فرد عليه السيد (أكرم توفيق) باندفاع: لقد حذرتك من قبل ألا تتحدث معي بذلك الأسلوب، ثم أمسك الرجل من ملابسه بقوة قائلًا في غضب: سأسدد لك غدًا كامل (الدّين) الذي على والدي، لم يحاول الرجل التخلص من القبضة الممسكة به، بل تحدث إليه بسخرية وتهكم وهو ينظر إلى يديه: أرجو أن توفر قوتك تلك في توفير النقود، أليس ذلك أفضل؟

همّ أكرم بالاعتداء عليه ولكنه أدرك أنه سيزيد الأمور سوءًا، فعضلاته القوية البارزة لن تنفعه في هذا الموقف فتراجع عنه صامتًا، فأردف الرجل: سأنتظرك غدًا صباحًا ثم تابع قائلًا: كما أرجو ألا تنسى أنك السبب في كل ذلك، ثم انصرف على الفور.

وقف لحظات يمسح بيده على جبينه وهو في حيرة لا يعلم ماذا يفعل، وكيف سيسدد ذلك الدّين غدًا، أنه بالفعل السبب في هذا الموقف فهو الذي دفع والده للاقتراض من ذلك الشخص، من أجل تحقيق حلم السفر الخاص به، والعمل خارج البلاد في أحد أكبر أندية اللياقة البدنية، ولكن الحلم تبخر فقد أضاع النقود بالمضاربة بالبورصة، لقد كان يحلم بالمكسب السريع لحين استخراج تأشيرة السفر الذي تحطم على خسارة أسهمه وضياع المال و... قطع صوت أفكاره صوت والده ينادي عليه: لماذا يا ولدي تقف خارج المنزل هكذا؟ هل حضر الدائن مرة أخرى؟ لم يُرد أن يضايق والده فقال: لا يا أبي لم يحضر بعد، ثم أغلق باب البيت وأثناء توجهه إلى غرفته سمع طرق على الباب فاعتقد أن السيد كاظم قد عاد مرة ثانية فأمسك بعصى خشبية قوية ودار بذهنه أن يقضي عليه ويتخلص من معاناته إلى الأبد ولكن عندما فتح الباب لم يجد ذلك الرجل الكريه، بل وجد صديقه (زاهر) يقف أمامه فبادله التحية ثم طلب منه الدخول إلى بيته، ولكن زاهر اعتذر بهدوء ثم تحدث إليه

في جدية: لقد سمعت ذلك الرجل وهو يتحدث إليك ويقوم بتهديدك أنت ووالدك، هنا ظهرت علامات الضيق والحرج على وجه أكرم ثم تحدث قائلًا في غضب: هذا أمر شخصي ولا أريد أحدًا أن يتدخل به حتى ولو كان صديق، فرد عليه في جدية: لقد حضرت هنا لمساعدتك، فرد عليه أكرم في اقتضاب: لا أريد مساعدة من أحد، أكمل صديقه حديثه: أنا احتاجك في عمل ما يحتاج إلى قوتك البدنية الهائلة هذه التي تتمتع بها ومقابل ذلك سوف أقوم بسداد كامل المديونية التي على والدك، هنا صمت للحظات متفكرًا في ذلك الكلام ثم تحدث متسائلًا في دهشة وتردد: وما هو هذا العمل؟!!! فأجابه في حزم وثقة: لن أستطيع إخبارك هنا بهذا الأمر يا عزيزي، ولكني سأنتظرك اليوم في منزلي القديم الذي طالما تجمعنا به أثناء دراستنا بالمرحلة الثانوية وذلك في منتصف الليل، ثم تركه وانصرف، هنا شعر أكرم ببعض الهدوء فقد أعطاه صديقه حل لمشكلته في سداد الدين الذي على والده، ولكن ما هو هذا العمل الذي يحتاج إلى قوته البدنية هذه؟!

الفصل الثاني

الهرم

وقف (زاهر) في منتصف ردهة منزله يتأمل أصدقاءه فقد حضروا جميعًا كما توقع، فها هو صديقه (خالد) عالم اللغات لقد أصبح هزيلًا نحيفًا للغاية ينظر إلى الجميع بعينين زائغتين، أما (شوقي) قائد فريق الكشافة سابقًا ما زال ممشوق القوام، قوي البنية لم تنل الأيام منه بعد، بالنسبة إلى (رمزي) فهو عالم من الطراز القديم فما يزال يرتدي نفس النظارة الطبية منذ أيام الدراسة حتى كادت تلتصق بوجهه ولم يفسد هيبته سوى تلك القنينة الممتلئة بالخمر التي يتجرع منها بعض الرشفات من حين لآخر ولا تتركها يده البتة، إلا أن (أكرم) بطل اللياقة البدنية كان يختلف عن الجميع فهو طويل القامة مفتول العضلات، والعجيب أن حجمه تضاعف عن أيام الدراسة، إنهم بالفعل أنسب فريق للمهمة التي تم إحضارهم من أجلها، هنا قاطع أفكاره صديقه شوقي قائلًا في حزم: أرجو أن تخبرنا عن الأمر الذي دعا إلى إحضارنا جميعًا إلى هنا.

صمت زاهر للحظة ثم تحدث بجدية: لقد قضيت وقتًا طويلًا من حياتي أبحث عن موقع غرفة الدفن الكبرى داخل هذا الهرم وعندما تمكنت من العثور عليها اكتشفت بداخلها أمرًا آخر، قاطعه أكرم قائلًا: وما هو هذا الأمر الآخر؟ فأجابه مكملا حديثه لقد وجدت باب حجري منقوش عليه بعض الكلمات التي تدل على وجود غرفه أخرى تقبع خلفه تحتوي على كنوز لم نر مثلها من قبل، ونظرًا لأن هناك بعض الخبراء الأجانب سوف يحضرون غدًا صباحًا لاستكمال اكتشاف غرفة الدفن بدلًا مني، لذلك أريد مساعدتكم جميعًا لي في الانتقام منهم بفتح ذلك الباب والعثور على هذا الكنز، ومقابل ذلك سنتقاسم سويًا أيًا ما سنعثر عليه.

فرد عليه خالد في غضب: لقد أصبحت تتحدث مثل اللصوص، أشاح زاهر بوجه عنه في ضيق ملتفتًا إلى باقي أصدقاءه ثم تحدث إليهم في صرامة: الآن هل أنتم معي في ذلك الأمر أم لا؟!!

مرت دقيقة تفكر بها الجميع في موقفهم عندما يرفضون العرض المقدم إليهم ويعودون بدون الحصول على أي شيء وكيف سيقومون بحل مشكلاتهم المكبلين بها جميعًا؟

والعجيب أنه لم يفكر أي منهم في المصير الذي يمكن أن يلاقيه في حالة فشلهم في إيجاد هذا الكنز المزعوم أو القبض عليهم من الجهات الأمنية، لقد سيطرت عليهم أطماعهم حتى النخاع.

فرد الجميع مرة واحدة «نحن معك في هذا الأمر».. نظر إليهم زاهر في ارتياح ثم تحدث بجدية: الآن أرجو منكم جميعًا ترك هواتفكم وأي أداة يمكن أن تصدر صوت داخل الهرم...

قام الجميع بتنفيذ تعليماته على الفور، فأكمل حديثه إليهم: لقد أحضرت كافة المعدات اللازمة لاكتشاف ذلك الكنز، فقد أحضرت لكم الزي الخاص بعمال البعثة الأثرية، كما أحضرت لكم بعض الحبال والفئوس، ومستلزمات الحفر وبعض المصابيح العتيقة التي تقاد بالزيت والنار.

هنا تساءل شوقي قائلًا: ولماذا هذه النوعية من المصابيح؟! فأجابه قائلًا: لعدم لفت الانتباه في حالة ما اذا استطاعت البعثة فتح ذلك الباب، فلا أريد أن يجدوا مصباح حديث الصنع ملقى بطريق الخطأ في أي مكان، ذلك سيشير لتسلل أحد ما إلى الداخل مما يؤدي إلى إثارة المشاكل وفتح تحقيق و.. قاطعه رمزي في حسم بالتأكيد لقد فهمنا، والآن ما هذه الحقائب الملقاة جانبًا؟ فرد على الفور في سعادة وثقة: هذه الحقائب التي سنحمل بداخلها الكنز.

أثارت الكلمة مشاعر الجميع وأطماعهم، فارتسمت ابتسامة واسعة على وجوههم جميعًا.

وما هي الا لحظات وكان الجميع قد استعد لتلك المهمة فبدأوا في التسلل تحت جنح الظلام في ليلة تخلو من ضياء القمر، ولم يكن يعرقل مسيرتهم سوى صديقهم خالد فكان يتحرك بصعوبة شديدة جعلت الجميع ما بين متهكمًا عليه أو متسائلًا

لماذا تم ضمه معهم في هذا العمل؟

أما بالنسبة إلى زاهر فهم كانوا يروه نفس الشخص زميل الدراسة السابق، لم يتغير نهائيًا بملامحه الوسيمة وقوامه المعتدل، ولكنهم جميعًا متفقين على أنه متعجرف ومغرور لأقصي حد ولا يؤمن بشيء.

ظلوا في تحركهم لبرهة من الوقت حتى وجدوا أنفسهم أمام الهرم الأكبر وبالرغم من أنهم معتادين على رؤية الأهرامات إلا أنهم أحسوا هذه المرة بشعور مختلف تماما كأنهم أول مرة يشاهدوه، فشعورهم كان مزيجًا من الرهبة والخوف الذي لم يدركهم من قبل فوجدوا أنفسهم يقفون لدقيقة كاملة ينظرون إليه في دهشة حتى تحدث زاهر إليهم في تهكم: «أتريدون أن ألتقط لكم صورة معه أم ماذا؟»، فرد عليه رمزي في جدية: أعتقد أنك شعرت بما شعرنا به، لم يجب عليه زاهر وقام بالإشارة إليهم باستكمال التحرك ولكنه في أعماقه كان يعلم أن كلام صديقه حقيقي لقد أحس بما شعروا به حقا.

وأثناء ذلك تحدث أكرم في همس وهو يساعد صديقه خالد، على تسلق صخور الهرم لبلوغ مدخله، هل تعتقد أننا يمكن أن نحصل على ذلك الكنز بالفعل؟ فأجابه بصوت يائس وقلق: لا أعتقد ذلك!

لم يكن أكرم يتوقع تلك الإجابة فرد في جزع لماذا تقول ذلك؟ فأجابه في توتر: لأنه ليس من طبيعة زاهر أن يستعين بأحد في أي أمر من أمور حياته، بالتأكيد هناك سر وراء حضورنا جميعًا إلى هنا؟! رد عليه: نعم أوافقك في ذلك، ثم صمت الاثنان واستكملا تحركهم وسط الظلام الكثيف.

بمجرد وصول الأصدقاء جميعًا إلى مدخل الهرم، أشار إليهم زاهر بأنهم سيدخلون واحدًا تلو الآخر على أنه هو الذي سيقودهم، ثم قام بإشعال مصباح واحد من المصابيح التي معهم، حتى لا تنبعث أي إضاءة إلى الخارج، ثم بدأ الجميع في التحرك على الضوء الخافت لذلك المصباح، متبعين صديقهم الذي قام باقتيادهم داخل الهرم، حتى وصولهم للغرفة الملكية ثم قادهم لعبور الممر الخفي، الذي قام باكتشافه المؤدي إلى غرفة الدفن الكبرى أسفل الهرم.

وبمجرد وصولهم هالهم الأمر، لقد وجدوا غرفة أثرية لم يروا أجمل منها من قبل في حياتهم، فكل ما حولهم كان منقوشًا بالذهب بداية من التابوت الأثري القابع في منتصف الغرفة نهاية بالنقوش والرسومات على الحوائط، هنا هتف زمزي: مرحًا يا زاهر إذا كان هذا بداية الأمر فماذا إذن بالكنز؟

فرد زاهر في افتخار: ألم اقل لكم.

ظل الأصدقاء يتأملون لبعض الوقت في محتويات الغرفة حتى تجمعت أنظارهم على باب حجري مكتوب عليه بعض الكلمات بالهيروغليفية، بدأ خالد في قراءتها باعتباره عالم متخصص في اللغات وأثناء قراءته وجد أن هذه النقوش تتحدث عن كنز لم ير أحدًا مثله من قبل، ثم وجد أسفل تلك النقوش كلمات غريبة للغاية، هذه الكلمات تقول:

"" حينما تقبل ثمن الكنز ""

"" تُفتح كل الأبواب ""

"" ويعلم كل مغامر مبتغاه الحقيقي ""

تسائل الجميع عن المقصود من ذلك موجهين نظرهم تجاه صديقهم زاهر الذي خفض رأسه قليلًا إلى الأسفل ثم تحدث في توتر واقتضاب: لا أعلم!!

فرد عليه الجميع في حدة: ما المقصود من عدم علمك؟؟؟ ألست أنت من أخبرنا بهذا؟ هنا تحدث بصعوبة: نعم كل ما أعلمه أن عثورنا على الكنز يتوقف على حل لغز تلك الكلمات ولذلك قمت بإحضاركم إلى هنا لكي تساعدوني في هذا الأمر...

هنا اندفع أكرم قائلًا بوقاحة: يا لك من أحمق مغرور كيف تقوم بخداعنا بذلك الشكل هل أحضرتنا إلى هنا كي نحل لك لغزك السخيف هذا؟ فرد عليه في حدة موجها كلامه للجميع في ذات الوقت: ماذا كنتم تتوقعون؟ أنا لست جمعية خيرية كي أوزع عليكم الأموال هباء، لقد أحضرتكم من أجل أن تجدوا لي حلًا لإيجاد ذلك الكنز وللأسف لن نستطع أن نقوم بالحفر في ذلك الباب الحجري بشكل عشوائي فقد

يؤدي ذلك إلى هدم هذه الغرفة بأكملها، فرد عليه شوقي في تعجب: ولماذا كل تلك المشقة والخلاف فهذه الغرفة تحتوي على ذهب وأثار تكفينا لأن نعيش حياة رغدة طوال عمرنا ولذلك سأكتفي بهذا القدر من تلك الرحلة وسوف آخذ معي ذلك التابوت الملكي بكل ما فيه ثم نظر إلى أصدقائه قائلًا: من معي في ذلك ،فرد عليه رمزي وأكرم بالموافقة على اقتراحه ما عدا خالد الذي وقف على بُعد خطوات منهم أمام الباب الحجري، معتصرًا ذهنه لمحاولة الوصول إلى تفسير لتلك الكلمات.



في تلك الأثناء هتف زاهر عليه قائلًا له بازدراء: ما هذا الذي تقوله لن تمتد أيدينا إلى أي شيء موجود في هذه الغرفة، فرد عليه الجميع في اندهاش: ولما لا؟!! صمت للحظة ثم أجابهم في غرور: لأن هدفي الحقيقي ليس سرقة الأثار!!؛ بل العثور واكتشاف ذلك الكنز الذي يمكن أن يجعلني أشهر عالم على وجه الأرض، وبذلك

أكون قد انتقمت من رؤسائي في العمل ومقابل ذلك سأمنح لكم بعض الأثار مقابل مساعدتكم لي.

وقف الجميع مبهوتين بسبب الصدمة التي وجهتها كلماته إليهم بصراحتها، مما لم يستطع معه شوقي من كبح غضبه فقام بإمساك طرف غطاء التابوت الملكي محاولا رفعه وهو يتحدث بحزم: سوف آخذ حقي بنفسي فصرخ به زاهر: ما الذي تفعله يا أحمق، ثم انقض عليه.

وفجأة تشابك الجميع في عراك بالأيدي حتى سقطوا على أرضية الغرفة جميعًا وبعد ثوان قليلة صرخ خالد فيهم مرة واحدة: لقد وجدتها!

التفت الجميع إليه في دهشة تاركين اشتباكهم فنهض زاهر واقفًا، وتوجه إليه بحديثه في شغف: ما الذي وجدته يا خالد؟!! فأجابه في انبهار: اعتقد أني استطعت حل لغز تلك الكلمات الغامضة، فرد الجميع منبهرين: اشرح لنا أكثر، فأجابهم بصوت مرتعش: هذه الكَلمات تدل على أنه هناك ثمن يجب على كل من يريد العثور على الكنز أن يتقبله، فرد أحدهم في دهشة وفضول: وما هذا الثمن الذي يجب علينا أن نقبله؟، فرد عليه زاهر في حدة وصرامة: لا يعنيني أيًا كان هذا الثمن وأيًا كانت طبيعته والآن ما الذي سنفعله؟ فأجابه خالد في قلق: أعتقد أن علينا جميعًا أن نردد القسم ونحن صادقين ومقتنعين بالفعل بكل كلمة، ثم نظر في وجوههم متأملًا فجاءته الإجابة مشمولة بقبولهم، فهم لا يملكون أي خيار آخر سوى خوض التجربة لنهايتها فما الذي يمكن أن يحدث بعد ذلك لهم؟

****

وقف الأصدقاء بجوار بعضهم البعض موجهين نظرهم تجاه الباب الحجري ثم تحدثوا جميعًا في وقت واحد ناطقين القسم سويًا بصوت قوي:

« لقد قبلنا ثمن الكنز »

مرت لحظات لم يحدث بها أي شيء فتحدث أكرم قائلًا: يا لنا من بلهاء، ثم أكمل قائلًا: كيف أقنعتنا يا خالد بذلك الفعل الصبياني؟!، التفت الجميع إلى صديقهم

متوقعين منه الرد ولكنهم وجدوه ممتقع الوجه ثم أشار بيد ترتعش إلى الكلمات التي على الباب، فوجّهوا نظرهم إليه بقوة فتراجع الجميع في خوف فقد بدأت الكلمات في الإضاءة بشدة وما هي إلا لحظة واحدة وبدأت الأرض تهتز من تحت أرجلهم وفجأة انكشفت لهم فجوة واسعة أسفل الباب الحجري ثم صمت كل شيء مرة واحدة...

وقف الجميع للحظات غير مصدقين ما حدث منذ قليل ثم قطع ذهولهم صياح زاهر: إنك عبقري يا خالد لقد تمكنت من حل لغز الكلمات بالفعل، وها نحن أمام الفجوة التي ستقودنا إلى الكنز، لم يستطع خالد الرد، فأنفاسه كانت تتلاحق من هول الموقف، ولكن زاهر لم يظل مندهشًا كثيرًا فقد بدأ في الاقتراب من الفجوة لاكتشافها فقام بإسقاط قطعة حجرية صغيرة لمعرفة مدة عمقها، ولكن سرعان ما سمع دوي اصطدامها بالأرض فعلم أن عمق الفجوة لا يتجاوز عدة أمتار قليلة فأشار إليهم بأن يثبتوا وتد حديدي بأرضية الغرفة مع ربط حبل به، وما هي إلا دقيقة واحدة وكان الجميع متصلين بالحبل في طريقهم للهبوط بداخلها...

بمجرد ما هبطوا داخل الفجوة حتى قاموا بإشعال مصابيحهم لرؤية ما حولهم، فوجدوا جدران من الصخور تحيط بهم من كل جانب، ما عدا شق في أحد الجدران أشبه بنفق مؤدي إلى مكان ما، فتعاونوا مع بعضهم على الدخول إليه فوجدوه ضيق للغاية، فتحركوا وهم خافضين رؤوسهم، فتحركوا وهم خافضين رؤوسهم حتى لا تصطدم بالصخور، وظلوا يتحركوا قرابة دقيقة كاملة في إصرار وصمت رهيب حتى انتهوا منه، ثم وجدوا أنفسهم في بهو متسع للغاية فرفع زاهر مصباحه مشيرًا إلى الجدران قائلًا: انظروا، فوجد الأصدقاء العجب، فكانت الجدران منقوش عليها كلمات غريبة وصور أكثر غرابة مرسومة لوحوش عجيبة الشكل ولأهرامات لم يروا مثل ضخامتها وتكوينها من قبل، وتحذيرات في كل عبارة مكتوبة، أما أرضية البهو فكانت من الجرانيت، وبعد عدة خطوات بدأ الجميع يشعر أن هناك أحدًا ما معهم فبدأوا في التحدث بصوت خافت حول ذلك الأمر، مما دفع زاهر يتحدث بحدة وقلق: دعوني أسمع ما تقولون وإلا فالزموا الصمت جميعًا، تطوع أكرم بالحديث قائلًا: إننا نشعر أن هناك أحد ما يراقبنا، فرد عليه محاولًا إظهار الشجاعة: أعتقد أنها خيالات

ليس أكثر، فرد شوقي في توتر زائد: أعتقد أنها ليست خيالات، بل أعتقد أنه حارس الكنز هو الذي يلاحقنا، فرد زاهر ساخرًا: أي حارس تتحدث عنه، هذا المكان لا يوجد به إلا نحن فقط و.. فقاطعه صوت قوي جاءهم من الخلف قائلًا: أنت مخطئ...!!

التفت الجميع في رعب إلى مصدر الصوت فوجدوا رجل غريب الملامح أصلع الرأس خمري اللون صارم الوجه متوسط القامة قوي البنية ويبدو أنه في الأربعين من عمره، يرتدي جلباب من الكتان غامق اللون أقرب لملابس قدماء المصريين، كما أنه يرتدي في قدميه صندل عتيق للغاية، حاول خالد أن يتحدث معه، ولكن صوته اختنق داخل حنجرته من الرعب، فخرجت منه همهمة غير مفهومة زادت من رهبة الموقف إلا أن رمزي اندفع قائلًا: في خوف من أنت؟! فأجابه في صرامة: أنا (حارس الكنز) الذي جئتم من أجله إلى هنا، صمت الجميع لبرهة، وهم في دهشة من أمرهم ثم تحدث أكرم: وكيف علمت بذلك؟! فأجابه في حزم: أنا أعلم كل شيء عنكم منذ نطقكم للقسم بشكل صحيح في غرفة الدفن، استجمع زاهر شجاعته قائلًا: هل أنت من القدماء المصريين؟ فأجابه: نعم أنا كذلك، ثم أكمل في حزم: الآن حان دوري أن أقودكم إلى الكنز الخاص بكم...

شعر الجميع ببريق من الأمل عندما سمعوا تلك العبارة التي أزالت كثيرًا من الخوف الذي شعروا به تجاه هذا الرجل الغريب، فسلموا أنفسهم إليه على الرغم من مئات التساؤلات التي دارت في ذهنهم عنه، ليقطع بهم ذلك البهو حتى وصل إلى نهايته، فوجدوا باب ضخم للغاية ولكن ذلك الرجل الغريب بمجرد أن وضع يده عليه؛ حتى فتح على الفور، ليشاهدوا غرفة متوسطة الحجم يقبع بداخلها على الجدار المقابل لهم خمسة أبواب متجاورة يفصل بين كل منهم مسافة صغيرة للغاية وبمجرد أن دلفوا داخل الغرفة، حتى أضاءت الأبواب جميعًا مرة واحدة بضوء قوي مما آثار الفزع في نفوسهم، فتحدث حارس الكنز بهدوء لا تقلقوا فبداخل كل باب من هذه الأبواب يقبع الكنز الخاص بكل واحد منكم، فرد رمزي عليه في تعجب وكيف يكون لكل واحد منا كنز خاص به؟! فأجابه في اقتضاب: هذا مقابل القسم الذي قمتم به، هنا تحدث زاهر: هل يمكن لنا جميعًا دخول أحد تلك الأبواب، فرد الرجل بحدة: لا لن تستطيعوا ذلك، ثم تابع كلامه قائلًا: كل باب من تلك الأبواب مخصص

لواحد منكم، سأله خالد فجأة ولماذا تساعدنا؟!! ردد الرجل عبارته السابقة هذا مقابل القسم الذي قمتم به!

شعر الأصدقاء بأن القاء الأسئلة على ذلك الرجل لن تفيدهم في شيء، ولذلك هتف زاهر بهم: لا تتركوا أي آثار ورائكم أثناء بحثكم على الكنز كما أرجوا أن تأخذوا القليل منه حتى يكون هناك شيء يمكن أن أعلن اكتشافي عنه بعد ذلك، أشار إليه الجميع بالموافقة فهم يعلمون أنه ليس هذا ما خطط له، ولكن مصلحتهم فوق كل شيء، سوف يأخذون كل ما تطيله أيدهم من كنوز، ولكن ليس هذا وقت العراك.

هتف حارس الكنز قاطعًا أفكارهم: الآن يقف كل واحد منكم أمام باب من تلك الأبواب الخمسة، وبالفعل قام كل واحد منهم باختيار أحد تلك الأبواب بالوقوف أمامه، ولكن المثير للدهشة لأقصى حدّ أنهم بمجرد ما قاموا بذلك حتى تغير وهج الإضاءة الخاصة بكل باب من تلك الأبواب مما جعلهم ينظرون إلى بعضهم في شيء من القلق والريبة ولكن زاهر حاول تخفيف حدة قلقهم بالإشارة إليهم بأن يقوموا بتوزيع الأدوات التي معهم عليهم بالتساوي وبمجرد انتهائهم من توزيعها، قام بإخبارهم بأن لا تتجاوز فترة البحث عن الكنز خلف كل باب أكثر من ثلاث ساعات ثم يعود الجميع إلى نفس هذا المكان حتى لا يدركهم الوقت، فأخبره كل من خالد وأكرم بأنهم لا يرتدون أي ساعات بأيديهم فرد عليهم في ضيق وحنق: المهم أن تعودوا جميعًا قبل أول ضوء للنهار.

أشار إليه الجميع بموافقتهم على ذلك ثم وقف كل منهم أمام أحد الأبواب في موعد مع الكنز الخاص به وقد أدركوا جميعًا الآن المقصود بالعبارة الثانية... «تفتح كل الأبواب».



الفصل الثالث

الأبواب

الباب الأول

«لا مفر من مواجهة مخاوفك»

وقف الأصدقاء ينظرون إلى بعضهم البعض في رغبة منهم في فتح الباب الخاص لكل منهم، ولكن حارس الكنز تحدث إليهم بأنه هو الذي سيحدد من فيهم سيعبر أولا، ثم أشار بيده ناحية خالد بأن يقوم بالعبور، فنظر إليه ثم نقل بصره إلى أصدقائه، وعلامات القلق تملأ وجهه، مما دفع زاهر بأن يتحدث إليه قائلًا في هدوء لا تقلق يا خالد ما هي إلا ساعة من الزمن وتعود حاملا حقيبة ممتلئة بالكنوز، عقب شوقي متهكما: وهل سيتمكن من حملها حينئذ؟!! لم يُعر خالد اهتماما كثيرًا بسخرية صديقه فقد قام بالإمساك بمقبض الباب وبمجرد ما قام بذلك وجده يفتح تلقائيا فنظر أمامه فوجد خندقا طويلا حالك الظلام فتردد لبعض الوقت هل يهم بالدخول أم لا؟ ولكن حارس الكنز قطع ذلك التردد بتحدثه إليه في صرامة: هل تراجعت عن رأيك في الدخول؟ فرد عليه قائلًا في خوف: لا لم أتراجع عن رأيي، ثم قام بالتحرك إلى داخل الخندق وبمجرد دخوله انغلق الباب تلقائيا في قوة شديدة مما أثار الرعب والقلق في نفسه، فحاول تبديد تلك المخاوف برفع المصباح الذي معه ليرى ما حوله فوجد الجدران تفرز مادة سوداء أشبه بالقطران، فمد يده ليتبين مدى لزوجتها فوجدها غليظة القوام، كما أنها تلتصق بيده بشكل يصعب عليه التخلص منها، ولكنه لم يقف طويلا أمامها، فقام بالاستمرار في التقدم وما هي إلا بضع خطوات، حتى وجد الجدران تنسال منها هذه المادة بغزارة من جميع الجهات، مما أصابه بالذعر، فحاول أن يرى نهاية لذلك الخندق، ولكنه لم يجد أمامه سوى الظلام، مما جعله يلتف عائدا إلى الباب الذي أتي منه مجددا في محاولة منه للهروب، ولكن تلك المادة اللزجة لم تمكنه من التحرك سوى خطوة واحدة فقد التصقت بقدميه وأثناء محاولته التخلص منها سقط على وجهه، وفي أقل من دقيقة واحدة كان جسده مغطى بالكامل بتلك المادة حتى انقطعت أنفاسه وفجأة تلاشى شعوره بما حوله،

وراح في غيبوبة.

****

أفاق خالد مرة واحدة فوجد نفسه ملقى على الأرض وتلك المادة العجيبة تغطي كامل جسده، فبدأ في إزالتها من على وجهه حتى يستطيع التنفس وبمجرد ما قام بذلك حتى أصابه التعجب لأقصى حد فهو يرقد على أرض رملية يعمها ضوء النهار؟!!!

ثم بدأ في توجيه بصره في جميع الاتجاهات ليكتشف المكان الذي وجد نفسه فيه بشكل أكبر فلم يستطع ذلك بسبب انتشار الضباب بشكل كبير، ولكنه لمح خلفه جدار من الصخور يرتفع حتى مرمى بصره، فتسائل في دهشة عجيبة كيف يعقل ذلك؟! لقد أتيت من قلب الهرم فكيف يكون هناك سماء وأرض بذلك الشكل! وفجأة هتف في ذعر: لقد أضعت موعد العودة أول ضوء النهار؟!!...

حاول أن يستجمع شتات عقله في محاولة للوصول إلى نتيجة منطقية حول وصوله لهذه المنطقة، وعندما لم يجد إجابة مقنعة، قرر أن يكتشف بنفسه تلك المنطقة الغريبة فهم بالنهوض بصعوبة ثم بدأ التحرك في اتجاه واحد حتى يستطيع اكتشاف أكبر مساحة ممكنة، وأثناء ذلك نظر إلى السماء فتعجب من تكتلات الضباب التي تحجب الرؤية بشكل كبير، ولكنه استمر في تحركه فترة طويلة من الوقت حتى شعر بعدم قدرته على الاستمرار، ولكن ما جعله يستمر في التحرك هو تبدد الضباب بشكل كبير فبدأت تتكشف أمام عينيه منطقة أخرى أثارت دهشته لأقصى درجة.

فقد تبين أنه يقف على تل، فاقترب من نهايته حتى يرى بشكل أفضل فوجد منطقة كاملة أسفل التل تنتشر بها الأشجار بشكل كبير، ثم لمح مجموعة من الأكواخ متراصة بجوار بعضها البعض، ولكن لم يكن هذا الذي أثار دهشته، فالذي جعله يتعجب بحق هو رؤيته لباب مضيئ معلق في السماء بدون عمدان يشبه الباب الذي عبر من خلاله، هذا الباب يقع خلف منطقة الأكواخ بمسافة قريبة، ثم مد بصره جاهدا فوجد أسفل هذا الباب بيت خشبي صغير الحجم مبني على مستنقع من

المياه الراكدة، ويمتد من هذا البيت ممر بطول المستنقع حتى اليابسة، فظل يتأمل كل ذلك في استغراب حقيقي، ثم بدأ يسترجع كلمات الرجل الغريب وكيف أخبرهم أن وراء كل باب كنز لن يجدوا مثله، فهل من الممكن أن يكون متواجدًا بهذا البيت العجيب؟!

ثم قام بمحاولة النزول من على ذلك التل بصعوبة بالغة فهو يعلم أن قدراته البدنية قد فقدها منذ زمن بعيد، وما هي إلا لحظات حتى اصطدمت قدمه بشيء ما في الأرض، فوجد نفسه يتدحرج ساقطا حتى اصطدمت رأسه بأحد الأحجار ففقد الوعي مرة أخرى.

****

تيقظ خالد من اغمائه فوجد نفسه يرقد على سرير خشبي، فأمسك رأسه من آلام اصطدامه، ثم نظر جانبا فوجد رجل أشيب الفودين، قوي الجسد، ينظر إليه في هدوء، ثم تحدث الرجل إليه: «مرحبا بالمغامر الجديد»! أثارت العبارة استغرابه فتحدث في نفسه ماذا يقصد هذا الرجل؟ فتشجع وسأله بصوت عال من أنت؟ فأجابه الرجل في رزانة: يمكنك أن تناديني (بالقائد) أما أنت فبم أناديك؟ فأجابه: اسمي خالد، ولكن أين نحن؟ فأجابه: أنت في بيتي ثم استطرد: لقد وجدك بعض الرجال مصادفة مغشيا عليك فقاموا بحملك وإحضارك إلى هنا، وقد قمت بعلاج إصابة رأسك ببعض الأعشاب، فرد عليه بامتنان: أشكرك على مساعدتك لي، ابتسم القائد ثم تحدث في إشفاق: لقد رأيتك هزيل للغاية ولذلك أعددت لك بعض الطعام والشراب حتى تستطيع استعادة عافيتك، أسكته الجوع على القيام بطرح أي تساؤلات أخرى على الرجل ثم بدأ في تناول الطعام في صمت.

بعد انتهائه من تناول الطعام وجد الرجل يباغته بسؤاله بشكل صريح هل أتيت حقا للبحث عن الكنز؟ صدمه السؤال، فحاول أن يتفاداه بالتحدث عن أمر آخر، فسأله هل أنت الوحيد المتواجد هنا؟، أدرك الرجل أنه لا يريد التحدث عن ذلك الأمر، فقال له بهدوء هيا بنا نخرج خارج البيت حتى أشرح لك بعض الأمور.

بمجرد خروجهم نظر حوله فوجد مجموعة قليلة من الأكواخ مصفوفة بجوار

بعضها، ويقع في وسطها ساحة منبسطة من الأرض متراص عليها العديد من الهياكل الخشبية مع وجود مجموعة من الرجال مختلفي الأعمار يقومون بالتدريب في تلك الساحة، ثم بدأ يتحرك مع الرجل ليتعرف أكثر على المنطقة، فوجد مجموعة من الرجال يقومون بتربية الماشية وآخرين يقومون بأعمال الزراعة فقام بسؤال الرجل كيف أتيتم إلى هنا؟! فأجابه الرجل وهو ينظر في عيني خالد لقد أتينا كما أتيت أنت من أجل العثور على الكنز أليس هذا ما أتى بك إلى هنا؟ أشاح بوجهه بعيدا ليتجنب التقاء عيناه مع ذلك الرجل، ثم أجاب في تردد نعم لقد أتيت من أجله، ثم تابع الآن قد علمت سبب قدومي أرجو الآن أن تجيب على اسئلتي؟ أجابه في أسى: أطماعنا هي التي أتت بنا جميعًا إلى ذلك المكان الغريب، ولكننا وجدنا أنفسنا سجناء في تلك المنطقة لا نستطيع الخروج منها إلا من خلال ... قطع حديثه صوت آخر يأتي من خلفهم قائلًا: القضاء على الوحش.

التفتوا لمصدرِ الصوت فوجدوا شاب صغير لم يصل عمره الى العقد الثاني بعد، ثم كرر ذلك الشاب عبارته قائلًا: لا نستطيع الخروج إلا بالقضاء على الوحش الذي يقبع في البيت المسحور، تحدث خالد موجها حديثه إلى القائد: من هذا الشاب؟ وما هذا الوحش الذي يتحدث عنه؟!!، فرد القائد وهو ينظر إلى الشاب في غضب هذا أصغرنا سنا، ثم التفت بوجهه إليه متابعا حديثه: أما بالنسبة لقصة الوحش سنتحدث عنها لاحقا، حاول الشاب التحدث مجددا ولكن القائد أشار إليه بالصمت ثم تابع التحرك مع خالد حتى التقوا بجميع الرجال المتواجدين بالمنطقة فوجدهم يتحدثون بلغات ولهجات مختلفة لا يفقه عنها شيء، كما أن أشكالهم تختلف عن أشكالنا الحالية فتشعر وأنهم قد أتوا من شعوب وأزمنة مختلفة، وأثناء مرورهم بالساحة قام بسؤال القائد لماذا تقومون بالتدريب على أعمال القتال ؟!!! فرد عليه في عُجالة: لا تشغل نفسك بهذا الآن، فعاود تساؤلاته قائلًا: متى جاء هذا الشاب الصغير إليكم؟ صمت قليلًا القائد ثم أجابه في توتر: لقد جاء إلى هنا منذ مائة عام!!

تحدث خالد مصدوما: كيف ذلك وهو بهذا الشكل الصغير؟!! فرد القائد في حزم «لأننا لا نهرم هنا»...

ثم أردف قائلًا: هذه المنطقة متوقف بها الزمن، ألم تلاحظ أن ضوء النهار لا يغيب، فرد عليه: بالفعل لاحظت ذلك وتعجبت له جدا، ولكن نسيت أن أسألك عنه، فتابع القائد هنا لا يوجد ليل أبدا، بل نهار دائم تكسوه الغيوم الكثيفة، نظر إليه في خوف ثم تحدث: كلامك هذا يدل بأنكم هنا في تلك المنطقة لا تفنون أبدا؟!! أجابه في مرارة: نعم فحياتنا هنا أبدية إلا اذا امتنعنا عن الطعام والشراب، أو من خلال طريقة أخرى أكثر بشاعة، تسائل متخوفا: وماهي هذه الطريقة؟ تغاضى عن السؤال الموجه إليه مغيرا الحديث قائلًا هيا بنا لنستريح قليلًا.

استسلم لكلامه على الرغم من سيل التساؤلات التي تندفع من أعماقه، ولكنه كان يشعر بالإرهاق بالفعل فهو لم يعتد على الوقوف كل ذلك الوقت، فذهب معه وأثناء رجوعه إلى بيت القائد وجد الشاب الصغير يقف من بعيد وينظر إليه في غموض.

أثناء جلوسه ببيت القائد وجده يطلب منه أن يقص عليه حكايته فصمت قليلًا متفكرا ثم قص حكايته بالكامل.

بعدما انتهى من حكايته قام بسؤال الرجل هل عثر أحد منكم على هذا الكنز؟ فأجابه في حزن: لا لم نعثر على شيء، فهذا المكان لا يوجد به أي كنوز، والآن دعنا نتناول قليلًا من المشروب الذي أعده بنفسي فسوف يعجبك كثيرًا.

بعد قليل من الوقت وبعد تناولهم لهذا المشروب، أخبره الرجل بأنه سوف يذهب ليقوم ببعض الأمور الخاصة به وعندما طلب منه أن يذهب معه أخبره بأن يستريح قليلًا حتى يعود ثم قام بالانصراف.

شعر خالد أن الرجل لا يصدقه القول فقرر أن يستكشف الأمر بنفسه، فانتظر قليلًا ثم قام بالخروج من البيت متتبعا خطاه ثم تخفى خلف أحد الأشجار، فوجد القائد يقف في منتصف الساحة المخصصة للتدريب، ويقوم بتدريب مجموعة من رجال القرية على المبارزة بالسيف وأثناء ذلك سمع صوت خطوات خلفه فالتفت في خوف فوجد الشاب الصغير يقف ورائه، حاول أن يتحدث معه، ولكن الشاب أشار إليه بالصمت وعدم التحدث ثم أخبره هامسًا له أن يتبعه.

وجد نفسه يسير خلف الشاب الصغير لفترة من الوقت تخطيا خلالها جميع بيوت القرية حتى وجد نفسه في وسط طريق مفتوح تمتد الأشجار عن يمينه ويساره فاستمروا في المشي خلاله وكلما تحركوا أكثر اقتربوا من الباب المعلق في السماء حتى قام بسؤال الشاب إلى أين نحن ذاهبان؟ وقف الشاب ثم أجابه: لقد كنت تسأل القائد عن سبب عدم قدرتنا على الخروج من تلك المنطقة؟ أليس كذلك؟ فرد عليه في لهفة وشوق لمعرفة الإجابة: بلى، وأنت قد أخبرتنا بأن هناك وحش ما، هو الذي يمنعكم من ذلك؟، فرد الشاب بالفعل أننا لا نستطيع الخروج، بسبب الشيطان الذي يسكن ذلك البيت، ثم أشار بيده في اتجاه ما، نظر خالد إلى ذلك الاتجاه فوجد أن منطقة الأشجار قد انتهت وظهرت منطقة أخرى بها مستنقع هائل الحجم أسود كاحل اللون يطفو عليه بيت من عروق الأشجار متفحم منزوع الباب كأنه قطعة من الجحيم وضعت في هذا المكان، ويمتد من ذلك البيت ممر خشبي طويل حتى نهاية هذا المستنقع، هنا تحدث خالد إلى نفسه ولكن بصوت مسموع هذا نفس المشهد الذي شاهدته فوق التل ثم سأل الشاب وما طبيعة هذا الكائن؟ تردد الشاب قليلًا ثم قال نحن نطلق عليه اسم الوحش، ولكن هو أقرب إلى «شيطان الخوف» فهو كائن ليس له شكل يمكن تمييزه فيتكون طبقا للمخاوف الموجودة بداخل كل واحد منا، فبمقدار مخاوفك ستجده يتمثل أمامك، وطبقا لما رأيته منذ قدومي إلى هنا فلن نستطع الخروج من هذا المكان إلا بعد هزيمته، فرد عليه قائلًا في استهزاء: وبالطبع ستقول لي أنه ليس بداخل هذا البيت الكنز الذي أتينا جميعًا من أجله؟ فأجابه الشاب في يأس: نعم للأسف لا يوجد أي كنوز!

وقف خالد لبعض الوقت حائرا وهو يدير الأمر في عقله غير مصدق ما يقوله هذا الشاب، فهؤلاء القوم يكذبون عليه نعم يكذبون عليه، بالتأكيد عثروا على ذلك الكنز وقاموا بإخفائه في ذلك البيت، وكل الكلام حول توقف الزمن وهذا الوحش هراء، وفجأة قرر أن يتحرك في اتجاه البيت المسحور...

حاول الشاب الصغير إيقافه، ولكنه لم يصغ إليه حتى وصل إلى بداية المستنقع وبمجرد أن وضع قدمه على أول الممر حتى سمع صوت دوي مخيف لأقصى حد ومن شدة الصوت سقط على وجهه.

****

رفع رأسه ليرى مصدر ذلك الصوت المرعب فوجد ضباب أسود يخرج من البيت ويتجمع عند منتصف الممر، فظل ينظر في رعب وخوف إلى ذلك الضباب وهو يتشكل حتى تجسد في شكل لم ير أبشع منه في حياته فهو عبارة عن وحش يشبه تكوينه الإنسان أسود اللون عيناه حمراء مثل الدم وجسده ملئ بالنتوءات، أما يده فكانت تمسك بسيف ضخم تنبعث منه النيران، مشهد لم يشاهده أو حتى يتخيله في أسوأ كوابيسه، فحاول جاهدا النهوض ولكن جميع أطراف جسده أصابها الشلل، فنظر وراءه فوجد الشاب يقف على بُعد أمتار من الممر وينظر إليه في هلع، فصرخ به أن ينقذه، ولكنه لم يستجب إليه، ثم اتجه ببصره مرة أخرى إلى الوحش فوجده يقف أمامه مباشرة فنظر في وجهه ففوجئ أن ملامحه تشبهه للغاية!! وما هي إلا لحظة واحدة ووجد الوحش يصدر صرخة مدوية جمدت الدماء في عروقه، ثم وجده يرفع سيفه للأعلى وما هي الا لحظة واحدة وانهال السيف على رأس خالد مباشرة.

أيقن خالد أنه هالك لا محالة، فهبوط سيف مثل ذلك عليه قادر على شق رأسه الى نصفين وفجأة وجد يدٌ قوية تشده من قدمه وتسحبه في عنف إلى الخلف.

لم يستطع أن ينظر خلفه من هول الموقف، فنظر إلى الوحش فوجد السيف يصطدم بالأرض أمام رأسه مباشرة، وقد غرز غرزا عميقا في أرضية الممر الخشبية، ثم وجد نفسه يتم شده مرة أخرى حتى خرج إلى اليابسة بعيدا عن الممر وفي تلك اللحظة نظر خلفه فوجد القائد يقف أمامه وعليه علامات الغضب ثم وجده يقول له الآن علمت إجابة تساؤلاتك نظر خالد مرة أخرى إلى ذلك الشيطان فوجده شاخصا ينظر إليه وعيناه تشتعل نارا.

قام القائد بحمل خالد على كتفه فلم تعد لديه القدرة على التحرك بعد ما شاهده حتى وصلوا الى بيت القائد، فساعده ليجلس أرضا، ثم بدأ في الصياح بالشاب لما قام به من دفعه لخالد إلى الذهاب للمنطقة المحرمة، قطع صياح القائد قائلًا: ليس للشاب ذنب في هذا أنا الذي كنت أريد أن أعلم كل شيء حول ذلك البيت.

ساد الصمت الجميع بضع لحظات ثم تحدث موجّهًا تساؤلا إلى الرجل لماذا لم تقوموا بالهجوم جميعكم على ذلك الوحش؟ فأجابه في إحباط: لقد اختبرنا كل شيء فهذا الشيطان ينقسم إلى عدد لا نهائي من الوحوش بما يقابل كل واحد منا حتى السهام والرماح والنيران لا تصل إليه فهو محمي بطريقة عجيبة ليس لها تفسير كما أن هذا المستنقع يبتلع أي أحد يحاول أن يتسلل منه، لقد فقدنا العديد من الرجال خلال محاولة هزيمته.

تنهد خالد في عمق مُحمّل باليأس، لقد تيقّن أنه علق في هذه القرية إلى الأبد فلا مفر من الهروب منها إلا بهزيمة هذا الوحش وبالطبع سيهلك لا محال في أول نزال معه، هذا جزاءه الذي يستحقه فقد انصاع وراء أحلام كاذبة لقد خدعه صديقه زاهر عندما وعده بالكنز ولكن لا لم يخدعه صديقه بل إنه هو الذي خدع نفسه بطمعه عندما أعتقد أن عثوره على الكنز سيجعله يستعيد الثقة في نفسه مجددا ويعينه على التخلص من مخاوفه وأمراضه النفسية، لقد خدع نفسه عندما اعتقد أن الكنز سيؤمن مستقبل ابنته ووالدته وفي الحقيقة كان سيترك لهم أرثًا مسموما، وفجأة انهار وسط بكاء شديد.

****

مرت الأيام وهو لا ينهض من على السرير المخصص له ببيت القائد ولم يعد يأكل ولا يشرب حتى قارب على الموت، لم يرض القائد بذلك الأمر، فكم من مرات عديدة حاول أن يقنعه أن يتعايش مع باقي أفراد القرية، ولكن قد استسلم خالد تماما لمخاوفه.

شعر الشاب الصغير أنه السبب في كل ما حدث لخالد ولذلك قرر أن يذهب إليه ويتحدث معه وعند وصوله إلى بيت القائد وجد الباب غير مغلق فمد بصره من جانب الباب ليتبين وجوده وعندما لم يجده دلف إلى المنزل فوجد خالد نائما وبعد عدة محاولات استطاع إفاقته.

فتحدث معه: بهدوء وصرامة ما الذي أتي بك؟ فأجاب الشاب جئت أخبرك أن

اليوم سوف يقوم أحد رجال القرية بمحاولة عبور الممر ومقاتلة الوحش، فرد عليه في اندهاش: كيف ذلك أنه يلقي بنفسه إلى التهلكة؟!

هز الشاب رأسه في أسى متفقا معه في ذلك الرأي ثم استطرد قائلًا هل ترغب في مشاهدة هذا النزال؟ صمت قليلًا ثم أجابه: نعم سوف أذهب معك بشرط أن تساعدني في الوصول إلى هناك، فقدماي أصبحت لا تستطيع أن تحملاني.

استند على كتف الشاب متحركا معه بصعوبة بالغة وعلى الرغم من انتشار الضباب، إلا أنهم استطاعوا الوصول إلى المنطقة المحظورة وهناك وجد جميع رجال القبيلة يقفون على مسافة محددة من الممر، ويتقدمهم القائد ممسكا في يده سيف كبير وما هي إلا لحظات ووجد أحد رجال القرية يتوجه نحو القائد ويعانقه وبعد ذلك التف بوجهه إلى جميع رجال القرية وفي عيناه نظرة وداع ثم تحدث بلهجة غير مفهومة فرد عليه جميع الواقفين بهتاف فأدرك أنهم يقومون بتشجيعه ثم رفع هذا الرجل عيناه إلى الباب المعلق في السماء بين الضباب متمنيًا عبوره ثم توجه مباشرة نحو مصيره وبمجرد أن وضع قدميه على الممر حتى بدأ شيطان الخوف في التجسد أمامه، استجمع الرجل قوته وأمسك السيف بقبضتيه ثم انقض على ذلك الشيطان في ضربة قوية...

قام الوحش بصد سيف الرجل ثم رد الهجمة عليه مصدرًا زئيرًا جمد الدماء في عروقهم جميعًا وعلى الرغم من مهارة وقوة الرجل وحسن تدريبه إلا أنه لم يستطع أن يصمد طويلا فضربات الوحش كانت سريعة وقوية جدا حتى أطاحت بالرجل وأسقطته أرضا، وكلما وقف سقط مجددا من قوة وعنف الضربات حتى أدركوا جميعًا أنه هالك لا محالة وفي محاولة يائسة قام بإلقاء السيف علي الوحش عسى أن يصيبه ولكن الأخير تفاداه بسرعة مدهشة ثم رفع يداه بالسيف المندلع نارا إلى أعلى في مشهد خطف به قلوبهم جميعًا وما هي إلا لحظة واحدة وانهال به على الرجل فقضى عليه.

لن ينسى جميع الحاضرين ذلك المشهد أبدا فسيظل محفورا في أذهانهم إلى الأبد فقد قام الوحش بعد ما قضى على رفيقهم بحمله ثم إلقائه في المستنقع الأسود،

الذي لم يتوان في ابتلاعه على الفور...

وقف بعض رجال القرية يتأمل الموقف في حزن والبعض الآخر جلس على الأرض يبكي رحيل زميلهم وبعد قليل من الوقت بدأ ينصرف جميع رجال القرية تباعا في حزن شديد على رفيقهم ولم يتبق من رجال القرية سوى خالد والشاب الصغير والقائد، هنا ساد الصمت فترة من الوقت، وأثناء ذلك تفكر خالد في كل ما جرى في حياته وكيف وصلت به مخاوفه وأطماعه إلى هذا المكان، ثم بدأ في القاء التساؤلات داخله: هل سيترك نفسه للانهيار والموت؟ أم يواجه خوفه بشجاعة حتى ولو قضى نحبه في مواجهة هذا الشيطان، أهذا الرجل الذي فارق الحياة أفضل منه؟ ألم يواجه مخاوفه بكل جدارة، قطع أفكاره حديث القائد الغاضب إليه لماذا قمت بالحضور؟ ألم أتركك تقضي نحبك خوفا في المنزل؟ فأجابه في حزم: أريد أن آكل!! أثار رده استغراب وغضب الرجل بشدة، فقد أعتقد أنه يسخر منه فقال له مستوضحا ماذا تريد؟!! جاءت الإجابة بنفس الأسلوب أريد أن آكل ثم استطرد: كما أريد منك أن تقوم بتدريبي لمواجهة هذا الشيطان ....

نظر كل من القائد والشاب الصغير إلى بعض في اندهاش حقيقي ولم يكن يعلموا بأن هذه اللحظة ستكون فارقة مع الجميع.

****

أنقض خالد على الطعام كأنه يأكل لأول مرة في حياته، ومرت الأيام وبدأ بالتعافي جسديا ومع أول يوم تدريب وجد نفسه يقف أمام القائد والشاب الصغير في ساحة التدريب فوجدهما ينظران له في جدية حاول أن يتحدث إليهم فقاطعه الرجل قائلًا سيكون تدريبك اليومي هو المشي لمسافة محددة حتى تعتاد قدماك على ذلك وبالفعل بدأ مع مرور الوقت يقطع مسافات أطول فأطول حتى لم يعد يشعر بالإرهاق والتعب الذي كان يشعر بهما سابقًا، وعندما شعر القائد بذلك بدأ في تدريبه على الركض لمسافات قصيرة ثم أطول حتى جاء أول اختبار حقيقي له بطلب منه أن يقوم بالركض خلف الشاب الصغير للإمساك به، هنا أجابه في تسائل وهل سأستطيع ذلك؟ فرد عليه في حزم: لا تجادل والتزم بالتدريب.

لم يجد مفر من الاستسلام للتعليمات وأخذ في الركض بالفعل ولكنه اكتشف أنه يحتاج إلى مائة عام حتى يستطيع الإمساك بذلك الشاب، ومر وقت طويل وهو يحاول باستماتة رهيبة في الإمساك به ولكن بدون فائدة، ولكن الأهم من ذلك ثقته في نفسه التي أصبحت تزيد يوما بعد يوم كما أن شوقه تجاه رؤية ابنته ووالدته من جديد منحه إصرار وصبر على تحمل مشقة التدريب حتى جاء يوم شعر بأن قدميه أصبحت صلبة كما لم يعهدها من قبل، فقرر أنه لا بد وأن يمسك به اليوم خلال التدريب وعندما تم أمره بالركض اندهش الشاب من سرعة خالد فقد استطاع أن يلحق به في لحظات قليلة هنا تحدث القائد إليه: الآن سوف تنتقل إلى المرحلة الثالثة من التدريب ثم التقط أحد السيوف الخشبية الملقاة في ساحة التدريب وأعطاه إلى خالد الذي نظر للسيف الخشبي قائلًا ومتى سأتدرب بسيف حقيقي؟ فأجابه في حزم: عندما يحين الوقت المناسب والآن دعني أقوم بتعليمك أساسيات القتال بالسيف.

مرت الأيام وهو يتدرب في جدية حتى أجاد جميع أساليب الدفاع والهجوم حتى جاء اليوم الذي وجده فيه القائد يتلاعب بالسيف في سرعة لم يشهدها في أي مقاتل من قبل وهنا قرر إشراكه في مواجهات مع رجال القبيلة والعجيب أنه بدأ في الانتصار عليهم واحد تلو الآخر حتى استطاع هزيمة جميع ما في القرية وفي تلك اللحظة قرر القائد أن يمنحه سيف حقيقي وأن يواجهه بنفسه ليتأكد من جاهزيته لملاقاة الوحش.

وقف ينظر إليه بشيء من الخوف، فهذه المرة سيقاتل بسيف حقيقي كما أنه يقاتل معلمه فكيف سيتمكن من هزيمته؟ كما أن جميع ما في القرية يقف متفرجًا على ذلك القتال، شعر القائد بأن خالد يشعر بالخوف والقلق من مواجهته فتحدث معه قائلًا دع مخاوفك جانبا وقاتلني كما قاتلت هؤلاء الرجال والآن هيا هاجمني، اندفع يهاجم القائد بالسيف وما هي إلا لحظات ووجد نفسه ملقى على الأرض وسيف معلمه على رقبته.

تحدث إليه غاضبا: لماذا لا تقاتل كما علمتك نظر إليه في ضيق ثم تحدث: لا أعلم

لقد شعرت بخوف شديد أفقدني تركيزي.

فرد عليه في حزم لا أريد أن أسمع منك هذا الكلام مرة أخري ثم تابع في تحدي: قم لنتقاتل مرة أخرى، فرد قائلًا: لا لن نتقاتل اليوم فإني أريد أن أستريح قليلًا ثم وجه حديثه إلى الشاب قائلًا: هل يمكنك أن تستضيفني في بيتك؟ فأشار إليه برأسه بالموافقة.

مرت فترة من الوقت وهو يتهرب من مقابلة معلمه، متعللا بمرضه وفي خلال ذلك كانت تهاجمه أبشع الكوابيس فكلما أغمض عيناه كانت الأحلام المفزعة تغزوه، فالوحش كان دائما يهاجمه في أحلامه حتى أصبح لا يستطع النوم.

ثم جاء الوقت الذي تحدث الشاب إليه قائلًا: لماذا لا تريد استكمال التدريب هل يئست مثلنا جميعًا؟ فأجابه: لا لم أيأس، ولكن القائد يؤنبني على شعوري بالخوف كأني الوحيد في ذلك المكان الذي يتأثر به، أليس جميعنا جئنا إلى هنا لشعورنا بذلك ثم تابع متسائلا لماذا القائد لم يهزم هذا الوحش؟! أعتقد أنه يدعي القوة أمامنا فقط وأنه جبان لم يستطع مواجهته، على الرغم من قدومه هنا منذ مئات السنين، فأجابه الشاب في حزم: القائد ليس بجبان، فرد عليه في ضيق: بالطبع سوف تدافع عنه فهو معلمك، صمت الشاب قليلًا مفكرا ثم تحدث: سأحكي لك عن اليوم الذي واجه فيه القائد ذلك الشيطان، فرد في اندهاش وهل واجهه بالفعل؟؟!!! لم يلتفت للسؤال وتابع مسترسلا لقد قدمت إلى هذه المنطقة قبل هذا اليوم بفترة قليلة للغاية وكان المعلم هو من اهتم بي وأخرجني من الصدمة التي تعرضت لها عند قدومي ثم جاء اليوم الذي خرج فيه لملاقاة الوحش وكان جميع رجال القرية واقفون ينظرون لتلك المعركة، لقد قاتل بكل شراسة وقوة حتى كاد أن يهزمه واعتقدنا جميعًا أن القائد سوف ينتصر حتى قام الوحش بمناورة لم يتوقعها أحد ثم هاجمه مخترقا ذراعه الأيسر بسيفه فرد المعلم له ضربة السيف في وجهه فأصابه فقام ذلك الشيطان بسحب السيف من ذراع المعلم مسدد له ضربة قاضية حاول أن يتصدّى لها ولكنها اقلعته من مكانه وأطاحت به خارج الممر وبالرغم من إصابته إلا أنه أصر على مواصلة القتال لولا قيامنا جميعًا بمنعه من القيام بذلك ثم تنهد متابعا لن ننسى هذا

اليوم أبدا، ولكن سيظل القائد هو الوحيد الذي استطاع إصابة هذا الشيطان...

ساد الصمت بعض من الوقت، بعد حديث الشاب فقد أدرك خالد أنه أخطأ في حق القائد عندما أعتقد أنه أضعف من أن يواجه هذا الوحش، الآن علم أنه هو الذي يخاف من تلك المواجهة، ولكن لا لن يستسلم مجددا لمخاوفه ثم انطلق متوجها إلى القائد وهو مدرك شيء واحد فقط .... لن يتخلى عن صموده مجددا ...

****

وقف هو والمعلم وجها لوجه، ممسكا كل منهما سيفه في قوة ثم قاما بالاشتباك ومع بداية تلاقي السيفان بالضربات اكتشف القائد أن خالد تم تدريبه بنجاح فهذه المرة كان مختلفا تماما لقد استطاع أن يتغلب على معلمه في لمح البصر.

ربّت المعلم كتفه قائلًا: لقد علمتك كل شيء فهل أنت جاهز للمواجهة الحقيقية؟ فأجابه خالد في ثقة: سأهزم ذلك الشيطان بإذن الله، فرد عليه في حزم: إذن ستقاتله بعد أن يتبدد الضباب والآن اذهب واسترح قليلًا.

لم يستطع أن يخلد إلى النوم فهو على أعتاب لقاء مصيري فقام بالتوجه إلى معلمه من أجل إيقاظه فلم يجده فتوجه إلى خارج البيت ففوجئ أن القائد واقف يتحدث مع الشاب وجميع رجال القرية واقفين ينظرون إليه.

أدرك خالد أن اللحظة قد حانت فقام بشد أربطة من الحبال على ملابسه حتى لا تتمزق أثناء القتال ثم أخذ سيفه وتوجه مع الجميع إلى المنطقة المحظورة.

لم يكن الضباب الكثيف قد تبدد بعد عندما قارب رجال القرية من الوصول للمنطقة المحرمة وعلى الرغم من أن الضباب يكاد يجعل الرجل لا يرى الآخر، إلا أن القائد قام بالإشارة إلى الجميع بالاستمرار في مواصلة الطريق حتى وصولهم للمنطقة الآمنة والمعتاد وقوفهم بها أمام ذلك الممر، ثم توجه ناحية خالد قائلًا أعطني السيف الذي في يدك، حاول أن يتساءل عن سبب ذلك الطلب ولكن المعلم أشار إليه بالصمت فقام بتنفيذ الأمر، ثم وجده يقوم بسحب السيف الخاص به ويقوم بتسليمه إليه، تحدث خالد في تعجب: ولكن هذا سيفك؟!

فأجابه: نعم ولكن أنت الآن أحق به مني، أمسك خالد السيف في شرف ثم تحدث إلى معلمه: لقد أخبرني الشاب عن مواجهتك مع ذلك الشيطان، نظر القائد إلى الشاب الصغير معاتبا إيّاه، ثم نظر إلى خالد نظرة ثقة قائلًا ستنتصر بإذن الله على ذلك الوحش.

قبض على مقبض السيف بقوة وهو ينظر إلى ذلك المستنقع الكريه والبيت الأسود الذي يرقد على سطحه ثم نظر إلى الأعلى فوجد الباب المعلق في السماء يشع نورًا وبعد مرور قليل من الوقت بدأ الضباب في التبدد بشكل كبير فوجد القائد يقول له ... لقد حان الوقت...

نظر إلى جميع رجال القرية فوجد أعينهم كلها متعلقة به كأنها ترجوه وتتمنى له الفوز في ذلك النزال، فأشار لهم برأسه امتنانا لهم على وقوفهم معه ثم أخذ نفسا عميقا واضعا قدمه على أول الممر الخشبي وبمجرد ما خطت قدماه حتى انطلق صوت طرقعة هائلة أعقبه تجّمُع ضباب أسود في منتصف الممر حتى تجسد في هيئة شيطان لم ير أشرّ منه، لقد أدرك أنها لحظة المواجهة مع أبشع مخاوفه...

****



حاول أن يجد نقطة ضعف في هذا الشيطان يمكنه مهاجمته من خلالها ولكن الوحش لم يمهله الوقت الكافي لذلك، فقد انقض عليه بكل شراسة، فتصدّى له بسيفه ولكنه أدرك أنه لن يستطيع الصمود كثيرًا فقوة ذلك الشيطان هائلة ومع الضربة الثانية للوحش أيقن أنه سيهزم في هذا النزال لا محالة ومع الضربة الثالثة سقط أرضًا على ظهره فاقترب الشيطان منه وهو يزأر بوحشية، هنا سمع صوت يتردد في عقله أشبه بصوت حارس الكنز الذي قابله بداخل الهرم يقول له في حزم: «اهزم الخوف بداخل عقلك أولًا»، وجد خالد هذا الكلام يتردد بداخله ويتعاظم بعقله ثم حدثت المفاجأة.

لقد وجد الوحش يتجمد في مكانه للحظة كأنه تمثال وما هي إلا لحظة وعاد

للحركة ثانية، هنالك فهم ما حدث فهزيمة هذا الشيطان تأتي من داخله أولا، فهبّ من سقوطه ممسكا سيفه بكل قوته ثم انهال به على الوحش بشكل أدهش جميع مشاهدي القتال، فكان يتحرك في خفة وسرعة بالغة وعلى الرغم من تصدي الشيطان لضرباته إلا أن نظرة الوحش المخيفة بدأت تتراجع بشكل مدهش للغاية لقد بدأت تظهر على وجهه علامات الخوف!

هنا أدرك خالد أنه بالفعل نجح في هزيمة مخاوفه فأطلق صيحة هائلة تجمد على إثرها الوحش تماما فقام بغرز سيفه داخله فأطلق الشيطان زئيره الأخير ثم بدأ يخور ويتبخر، وهو ينظر إليه بحقد شديد حتى تلاشت صورته نهائيا.

انطلقت صيحة جميع رجال القرية في تهليل بانتصاره ثم تحرك الجميع تجاهه مهنئين له، هنا وقف خالد يلتقط نفسا كبيرا في ارتياح لم يعهده من قبل لقد شُفي أخيرا.. وفي تلك اللحظة سمع الجميع طرقعة عجيبة في السماء فنظر الجميع إلى أعلى فوجدوا الباب المعلق يهبط حتى استقر أمام مدخل البيت المسحور مباشرة.

تحدثٌ الشاب الصغير إلى خالد في انبهار: كيف استطعت هزيمته؟ أجابه في هدوء وثقة: لقد هزمته بداخلي أولا وبهذه الطريقة يمكنكم هزيمته، ثم التفت تجاه القائد فوجده ولأول مرة يبتسم ثم تحدث إليه: أخيرا استطاع أحد منا أن يهزم هذا الوحش، فرد عليه قائلًا الحمد لله لقد استطعت أخيرًا القضاء على المخاوف التي كادت تقضي علي.

ثم نظر إلى الباب فوجد رجال القرية يحاولون فتحه، ولكنهم عاجزون عن ذلك، هنا تفهّم القائد الأمر فهتف بهم قائلًا: لن يستطع فتح الباب إلا من هزم فقط الوحش فهذه جائزته المستحقة له لتغلبه على مخاوفه، هنا تحدث خالد في ألم بالغ: لن أترككم سأظل هنا معكم، فرد عليه لا تقلق علي سأظل هنا للقيام بدوري في ارشاد وتوجيه كل من ضل الطريق وقادته وساوسه إلى هذا المكان. ولكن كيف أقوم بترككم؟ فأجابه القائد في عطف: لا مجال للجدال وتذكر أنك قمت بإرشادنا جميعًا إلى طريق هزيمة هذا الشيطان والآن عُد إلى ابنتك ووالدتك في أمان الله.

التفت خالد والدموع في عيناه لوداعهم جميعًا قبل عبوره هذا الباب قائلًا

سأتذكركم دائما.

ثم سمع صوت طرقعة مجددا، فدقق النظر فوجد ضباب أسود بدأ في التجمع خلف الباب المضيء، ثم وجد الجميع يتحركون مسرعين حتى خرجوا خارج الممر الخشبي، هنا وجد الباب المضيء يبدأ في الارتفاع مجددا عن الأرض فصرخ به القائد اقفز مسرعا يا خالد، لم يتردد لحظة واحدة في فتح الباب والقفز بداخله وبمجرد عبوره وجد نفسه يسقط في مستنقع من المياه ليس له قاع فحاول أن يطفو على سطحه، ولكن ثقل المياه كان أقوى من مقاومته ... وفي خلال لحظات قليلة كان مبتلعا إياه....

الباب الثاني

«لا تفقد كف ابنك»

وقف (رمزي) أمام الباب الخاص به ناظرا إلى الإضاءة الهادئة المنبعثة منه والتي يميل لونها إلى اللون البني، ثم أمسك الباب بيده وبمجرد عبوره وجد نفسه على ضوء المصباح الممسك به أنه في خندق صغير مليء بالطين سواء على جدرانه أو أرضيته التي تلتصق وتغوص فيها أقدامه، وبعد خطوات بسيطة لم يعد يستطيع تحريك قدماه إلا بصعوبة بالغة ولم يكن هذا فقط الذي أقلقه، فحرارة ذلك الخندق مرتفعة بشكل رهيب حتى شعر أنه بداخل موقد، ولكنه واصل التحرك مع أنفاس متلاحقة حتى وضع قدمه بمنطقة ليس لها قاع فوجد قدمه تغوص بها بلا توقف....

حاول بقوة أن يسحب قدمه، ولكن كلما حاول أقوى تشبث به الطين أكثر حتى انزلقت قدمه الأخرى وهنا بدأ في الصياح والصراخ ثم التفت خلفه ليستنجد بزملائه فوجد الباب وقد أغلق عليه وما هي إلا لحظات حتى ابتلعه الطين بأكمله.....

شعر رمزي أنه يختنق فقد أغلق عليه الطين من كل جانب وعندما أدرك أنه قد هلك وجد شيء يسحبه بعنف ثم وجد نفسه يسقط في الهواء حتى اصطدم بالأرض، ولكن الأرض لم تكن عادية، بل كانت عبارة عن بزكة من الطين اللزج، شعر لأول وهلة أنه سيفقد الوعي، ولكنه استمات في ألاّ يحدث له ذلك، ولكن المهم أنه يغرق مجددا في ذلك الطين هنا قرر أن ينجو من موقفه هذا، فأخذ يسبح بصعوبة في هذا الطين حتى استطاع أن يخرج منه إلى أرض صلبة تملئها الأتربة...

****

ارتمى على ظهره يلتقط أنفاسه بصعوبة في محاولة لاستجماع شتاته فقد كان الطين يغطي كامل جسده وبعد قليل من الوقت اعتدل في جلسته، حتى يتبين المكان الذي به، هنا تعجب لما رآه فأمامه مباشرة تقع البركة التي قام بالخروج منها ويقبع خلفها مباشرة ممر حجري يعلوه باب معلق في السماء يشع بنفس الضوء الذي شاهده عندما عبر الباب أمام أصدقائه، أما وراء الممر فيوجد بركة أخرى من الطين

كبيرة للغاية ويقع خلفها غابة من أشجار الصبار ينبع فيها نهران يمتدان علي جانبي الممر والأرض التي يجلس عليها حتى مرمى البصر، ثم وجه بصره للسماء فوجد قرص الشمس أكبر وأقرب من أي وقت رأه من قبل، فنظر في ساعته بعد ما مسح الطين من عليها فوجدها ثابتة على نفس توقيت عبوره الباب أمام أصدقائه، ولكن الغريب أن عقرب الثواني ما زال يتحرك ولكن ببطء شديد؟!...

بدأ يتساءل حول كل ما حدث له وكيف أتي إلى هذا المكان العجيب؟!! ألم يكن الوقت الذي جاء منه في منتصف الليل فكيف أتت هذه الشمس؟!

وبعد قليل من التفكير قرر أن يكتشف المكان الذي به بشكل أكبر عسى أن يجد أي تفسير لما حدث له.

وفجأة انتبه أنه فقد جميع المعدات التي معه حتى نظارته بداخل ذلك الطين، ولكن لحسن الحظ ما زالت القنينة الخاصة به بجيبه، ثم بدأ في التحرك تجاه أحد تلك النهرين للاغتسال به مما أصابه من طين، وبعدما انتهى قام بمحاولة شرب بعض من المياه، ولكنه وجد طعم المياه مالح للغاية فتسائل قائلًا: كيف يكون ماء النهر مالح بهذا الشكل؟! إنه شيء عجيب، ثم قام بالتحرك نحو النهر الآخر ليشرب منه، ولكن للأسف لم يستطع ذلك فقد كانت حواف النهر مكونة من أحجار مصقولة بشكل لا يصدق فإذا حاول النزول به فلن يستطع الخروج منه ولذلك صرف نظره عن الشرب من هذا النهر ثم سحب القنينة الخاصة به وشرب منها بعض الرشفات فروت ظمأه ثم بدأ في التحرك لاكتشاف المنطقة.

بعد قليل شعر أن حرارة تلك المنطقة لا تطاق فقد تجففت ملابسه في دقائق قليلة، الآن قد فهم لماذا لا يوجد أشجار أو نباتات في ذلك المكان، تحدث بصوت مسموع قائلًا يا لها من منطقة غريبة بحق، ثم استمر في التحرك لفترة طويلة من الوقت تحت أشعة الشمس الحارقة حتى إنهمر العرق بغزارة منه هنا نظر إلى السماء مجددا فوجد الشمس في منتصف السماء وهنا تساءل لقد تحرك على مدار عدة ساعات فلماذا لم تتحرك الشمس من موقعها؟!!!

بعد برهة من الوقت قام بخلع قميصه وربطه حول وسطه، فلم يعد يتحمل

الحرارة أكثر من ذلك ثم تابع التحرك وفجأة لمح من بعيد بعض الأشجار على جانب النهر الذي لم يستطع الشرب منه، فقام بالركض نحوه وعندما وصل إلى تلك الأشجار وجد أن الأرض تنحدر إلى النهر مخترقة جزء منه فقام بالعبور وسط الأشجار القليلة حتى وجد نفسه أمام النهر مباشرة فجلس على حافته يشرب منه حتى ارتوى، والعجيب أن حرارة المياه كانت باردة بعكس توقعه فقام بالاغتسال حتى هدأت حرارة جسده فجلس تحت أحد تلك الأشجار ليستريح ويتفكر قليلًا، ثم بدأ عقله في التساؤل أين الكنز؟!!.

في تلك اللحظة تناهى إلى مسامعه صوت غريب للغاية أقرب إلى النحيب، تحرك رمزي نحو مصدر الصوت في قلق حتى تبين وجود شيء ما خلف أحد تلك الأشجار يأتي الصوت من خلاله، هنا أمسك بأحد فروعها المتساقطة على الأرض حتى يدافع به عن نفسه فهو لا يعلم ما الذي يقبع خلف هذه الشجرة، ثم قفز مرة واحدة ليتضح ما ورائها فأصابته صدمة كبرى مما رأى ....

****

لقد رأى ولد صغير يجلس واضعا رأسه بين قدميه ويبكي بشدة فاقترب منه واضعا يده على رأسه فرفع الولد وجهه تجاهه ثم تحدث قائلًا: أبي ..... ثم ارتمى في حضن والده؟!!!

لقد كانت مفاجأة بكل المقاييس أن يجد رمزي ابنه الصغير موجود معه في هذا المكان فحاول أن يتغلب على الصدمة التي حالت به ملقيا السؤال على ابنه كيف حضرت إلى هنا؟؟!! ألم تكن متواجدا مع والدتك للتحضير لإجراء العملية الخاصة بك؟!! فرد ابنه وهو يرتجف: لا أعلم يا أبي لقد كنت مستلقى على سريري بالمستشفى وكانت أمي تجلس بجواري؛ ثم وجدت الدنيا تدور من حولي وفقدت الوعي وعندما أفقت وجدت نفسي ها هنا..

فقام بسؤال ابنه ثانية: منذ متى وأنت في هذه المنطقة؟ فرد الابن: لقد وجدت نفسي هنا قبل ما تعثر عليّ بقليل من الوقت..

ساد الصمت لدقيقة كاملة تفكر فيها رمزي حول موقفه الجديد بعد ظهور ابنه في هذه المنطقة العجيبة وكيف سيخرجان منها! هنا قاطع أفكاره قول ابنه له، أنه يشعر بالجوع والعطش فاصطحبه والده إلى النهر ليشرب منه ثم بحث في غصون الأشجار على أي ثمار يمكن أن يطعم ابنه منها فلم يجد شيئا، فقرر أن يتحرك هو وابنه بحثا عن الطعام.

لم يمر عدة دقائق حتى تحدث الابن قائلًا: أبي أنا لا أستطع السير هل يمكنك حملي؟ تجاوب على الفور لمطلب ابنه فقام بحمله ثم تفكر مستعجبًا كيف لم أقم بحمل ابني من قبل!! إنني أبًا قاسيًا حقًا.

بعد حوالي نصف ساعة من المشي المتواصل بدأ الابن في البكاء فلم يعد يستطيع تحمل حرارة الشمس أكثر من ذلك هنا صاح رمزي في غضب: لماذا لا تغرب هذه الشمس؟!!، هنا تحدث الابن قائلًا أبي إني أرى شيء ما أشبه بالشجرة، نظر في الاتجاه الذي أخبره إياه فلم يجد شيئا، هنا تذكر أن كثرة إدمانه للخمور أثر على دقة نظره كما إنه فقد نظارته ولذلك تحدث لابنه متسائلا في ضيق: على أي جانب تقع هذه الشجرة؟ فرد الابن تقع على النهر الذي على يميننا يا أبي، فسارع من حركته حتى بدأت الشجرة الضخمة تظهر له هنا تنفس بارتياح أخيرا سيجد مكان يستظل به هو وابنه، وبمجرد وصوله إلى المكان الذي توجد به هذه الشجرة وجده مشابه للمكان الذي مر عليه من قبل، ولكن الاختلاف أن المكان السابق كان به بعض الأشجار لكنها غير مثمرة، أما هنا فلا يوجد غير شجرة واحدة ولكنها تمتلئ بالثمار عجيبة الشكل، ولكن الغريب أن ذلك المكان كان به العديد من الثقوب الصغيرة منتشرة على الأرضية الترابية في جميع الأنحاء.

لم يبد أهمية لتلك الثقوب فقد كان يشعر بالجوع والعطش بشدة ولذلك فقد قام بالتوجه إلى الشجرة فأجلس ابنه أسفلها ليحتمي بظلها من حرارة وضوء الشمس القوي ثم أخذ في قطف ثمارها وتناولها، هنا نظر ابنه إليه في اندهاش، فانتبه أنه لم يعطِ ابنه شيء من تلك الثمار فقام بمد يده إليه معطيا إياه بعضا منها ثم توجه إلى النهر ليشرب منه وبعد قليل من الوقت بدأ يتذكر موضوع الكنز وهنا دارت عدة

تساؤلات في ذهنه أين يمكن أن يكون؟ هل من الممكن أن يكون الكنز مدفون بجوار هذه الشجرة؟؟ ولم لا؟! فهذه الشجرة الوحيدة المثمرة في تلك المنطقة الغريبة وإذا فكر أحدا في إخفاء الكنز سيكون هذا المكان هو أنسب اختيار كما أن هذه الثقوب الصغيرة يمكن أن تحتوي على شيء ما.

قرر أن يقوم بالبحث عن الكنز فبدأ يحفر بيديه حول الشجرة، هنا تحدث ابنه إليه متسائلا في دهشة ما الذي تبحث عنه يا أبي؟! فأجابه بأسلوب جاف: هذا ليس من شأنك، ثم تابع بحثه وعندما لم يجد أي شيء حول الشجرة بدأ في مد يديه داخل الثقوب واحدا تلو الآخر حتى انتهى منها جميعًا هنا جلس أسفل الشجرة يلعن حظه البائس وأثناء ذلك اقترب منه ابنه قائلًا: هل تحبني يا أبي؟ فرد عليه في ضيق: لماذا تسألني هذا السؤال الآن؟! فأجابه باكيا: لأني أريد أن أعرف لماذا لم تأت إلى المستشفى لزيارتي والاطمئنان علي؟! هنا أشاح بوجهه عنه خجلا ولم يجب، فتابع قائلًا: الآن علمت أنك لا تحبني، ساد الصمت لبرهة ثم تحدث قائلًا لأبيه سوف أقوم لكي أشرب من ماء النهر، فأجابه بإيماءة من رأسه بالموافقة وأثناء شربه سمع رمزي صوتًا غريبًا فأرهف سمعه فوجد الصوت يقترب بشكل متواصل وفجأة ظهر كائن غريب الشكل تكوينه الجسماني أشبه بالبشر، ولكنه قصير القامة كالقرود جسده قوي البنية أصلع الرأس صغير الجبهة عيناه تكاد لا تراها، بأنف ممسوح أما فمه فكبير للغاية وكذلك أذنيه، لقد كان هذا الكائن يقف على قدميه ناظرا إليهم في شغف محركا أذنيه الكبيرتين ليستمع إليهم وفي تلك اللحظة انتهى الولد الصغير من شرب الماء، وبمجرد أن التفت ولمح ذلك الكائن حتى اطلق صرخة هائلة من الرعب، تحركت آذان هذا المخلوق نحو مصدر الصوت وفي اللحظة التالية انقض هذا الوحش مباشرة على الولد الصغير ممسكا إياه بفمه ثم التفت للعودة فاندفع رمزي تجاهه محاولا منعه من أخذ ابنه ولكن الكائن انقض برأسه ضاربا صدره فألقاه أرضا ثم انطلق يعدو.

تغلب رمزي على ألم صدره ثم بدأ في مطاردة ذلك المخلوق وعلى الرغم من سرعته الشديدة إلا أنه لم ييأس فقد ظل يركض خلفه حتى لم يعد قادرا على رؤيته فقد غاب عن الأنظار هنا سقط أرضا فلم تعد قدماه قادرة على العذو ثم رفع رأسه

صارخا ابني .... وفي اللحظة التالية وجد يد ما قوية تغلق فمه.

****

لم يدر ما الذي حدث معه فحاول أن يلتفت ليرى من صاحب هذه اليد القوية، ولكن صاحب اليد لم يمهله فقد قام بسحبه إلى منطقة بها أعشاب كثيفه على ضفاف النهر المالح وأثناء محاولته المقاومة والصراخ وجد صوت يقول له في خفوت لا ترفع صوتك، هنا استسلم تماما لصاحب الصوت، مترقبا ماذا سيحدث بعد ذلك، وبعد قليل وجد نفسه يُلقى داخل فجوة وسط الأعشاب...

نظر سريعا ليستكشف المكان الذي به فاستعجب لما رأه فهذا المكان يبدو من الخارج كفجوة صغيرة ولكن من الداخل فيبدو مثل كهف كبير الحجم، يحتوي على أواني من الطين المجفف (كالفخار) ملقاة على جوانبه كما يحتوي على مجموعه كبيرة من الأسلحة البدائية كالحراب والأسهم الخشبية، هنا التفت ليرى من هو هذا الشخص الذي قاده إلى ذلك المكان فوجده رجل متوسط القامة يلتحف بوشاح حول وجهه ورأسه بالكامل فلا يظهر سوى عيناه، أما ملابسه فهي عبارة عن قطعتين باليتين من القماش يستر بهما نفسه، أما أقدامه فكانت حافية لا يرتدي بها شيء.

تحدث إلى الرجل قائلًا من أنت؟! فأجابه الرجل بهدوء: استرح قليلًا وسوف اخبرك بكل شيء ثم قام بإحضار بعض الماء من إناء كبير وصب قليلًا منه في كوب من الفخار فقدمه إياه ليشرب منه، تناول الكوب من الرجل في قلق ثم نظر إليه قليلًا وعندما تأكد أنه ليس به سوى الماء قام بشربه على الفور.

بعد قليل من الصمت تحدث الرجل متسائلا متى حضرت إلى هنا؟ اندهش رمزي من السؤال فلم يجب فتابع الرجل تساؤلاته قائلًا هل حضرت من أجل الكنز؟ زادت حيرته للغاية كيف يعلم هذا الرجل بأمر الكنز؟!!! ثم قام بسؤال الرجل وهل حضرت أنت إلى هذه المنطقة من أجله؟ فقام الرجل بخلع الوشاح الذي على رأسه فتبين أنه رجل عجوز خطت السنين على جبينه فامتلأ بالتجاعيد، ولكن لمعة عيناه لم تطفئ بعد، ثم تحدث في حزن: لقد كنت رجلا مستهترًا انتهازي أعيش من أجل نفسي فقط

لا غير، وأثناء محاولتي سرقة أحد التوابيت بداخل الهرم سقطت في أحد الفجوات الممتلئ بها المكان وعندما أفقت من سقوطي وجدت رجل غريب يقف أمامي يتحدث معي عن كنز أسطوري ثم أخبرني أنه لا بد أن أدلي بقسم ما! كي أحصل عليه ولقد قمت بذلك، ثم قادني إلى أحد الغرف فوجدت بها العديد من الأبواب فأشار إلي بعبور أحدهما فقمت بعبور ذلك الباب اللعين الذي قادني إلى هنا، ثم وجدت معي...، فقاطعه رمزي متسائلا: وما الذي وجدته معك؟ فرد الرجل في تأثر: لقد وجدت ابنتي الصغيرة هنا معي في هذا المكان؟! ثم تابع قائلًا وعلى الرغم من الصدمة التي لحقت بي عندما رأيتها، ولكن حب المال قد تملكني فلم أهتم بكيفية قدومها إلى هنا والتفت للبحث عن الكنز، الذي بحثت عنه في كل مكان بهذه المنطقة ولم أنتبه لحفظ ابنتي حتى تم اختطافها من قبل تلك الكائنات المتوحشة ولقسوتي لم أهتم بفقدها، فقد عماني الجشع وأكملت بحثي عن الكنز، ولكني لم أجد شيئًا، وعندما أفقت من كل ذلك الجنون، كنت قد فقدت ابنتي إلى الأبد ثم انسابت الدموع من عينيه....

ساد الصمت قليلًا احتراما لمشاعر الرجل ثم قطع رمزي هذا الصمت قائلًا في أسي وندم ما اشبهُنا ببعض أتعلم لقد قمت بكل هذا أيضا؟! فلم أهتم أبدا بابني الوحيد، لقد كان شغلي الشاغل هو إدمان الخمور التي أنستني نفسي وزوجتي وولدي فلم أعد أميز بين الصواب والخطأ، ولكني لن أكون أسير لتلك المسكرات مرة أخرى، ثم قام بإخراج القنينة التي في جيبه راميا إياها على الأرض.

ثم تحدث إلى الرجل في اصرار: الآن أخبرني كيف أستطيع أن أنقذ ولدي من هذه الكائنات المتوحشة؟ فرد الرجل: يجب أن أشرح لك أولا طبيعة هذه الكائنات، إنها تعيش في مستعمرة كاملة تحت الأرض نظرا للحرارة الشديدة الناتجة عن عدم غروب الشمس في هذه المنطقة العجيبة سوى ساعة واحدة في اليوم، وعلى الرغم من أجسادهم القوية إلا أنها لا تستطيع تحمل حرارة الجو ولكن حاسة السمع لديهم قوية للغاية ولذلك فهم يقومون بعمل ثقوب تحت الأرض في الأماكن التي تسمح بالشرب منها على النهر العذب، فتمكنهم هذه الثقوب التي تمتد تحت الأرض بشكل كبير من الإنصات إلى فرائسهم فيرسلون الكشافة الصيادين للإمساك بها مثلما حدث

مع ابنتي وابنك، تسائل رمزي: ولماذا لا توجد هذه الثقوب في المنطقة الأولي التي توقفت للشرب بها؟ أجابه: لأن هذه المنطقة كانت بعيدة للغاية فلا يستطيعوا سماع الأصوات من تلك المسافة، ثم أردف قائلًا هناك نوع آخر من تلك الكائنات لا يخرج أبدا من تلك المستعمرة فتكوينه البدني يختلف عن النوع الأول الصياد وينحصر دوره في خدمة الملكة التي تحكم تلك المخلوقات.

أدرك أنه تفهّم الأمر برمته، ولكن الوقت ليس في صالح ابنه فيجب عليه أن يقوم بإنقاذه الآن ومهما تكلف الأمر فقام واقفا ثم نظر في عيني الرجل قائلًا بحزم واصرار: سوف أقوم بالذهاب إلى تلك المنطقة التي بها تلك الكائنات لإنقاذ ابني من بين أيديهم، فرد عليه الرجل بحزم: هل هذا هو ما تريده حقا أم مازلت تريد الحصول على الكنز؟ فأجابه بدون تردد: نعم أريد استعادة ولدي، أردف الرجل متسائلا وهل تدرك ما ستتعرض له من أهوال ومخاطر وما ستواجهه من احتمال عدم العودة مطلقا؟ فرد عليه في حسم: نعم أدرك ذلك والآن هل ستساعدني في ذلك الأمر؟، صمت الرجل عدة لحظات كأنه يدرس الأمر ثم تحدث إليه في حزم: أنا معك في ذلك الآمر ولكن لعلمك لن نستطيع الهجوم عليهم بشكل مباشر يجب أن نسحبهم إلينا أولا، تسائل رمزي وكيف سنستطيع ذلك؟! أجاب الرجل العجوز: سنقوم بعمل ضوضاء كبيرة بحيث تخرج كل الكائنات الصيادة ولا يتبقى إلا الكائنات الضعيفة التي لا تستطيع الخروج بسبب ضوء الشمس، والآن سنحضر معنا كل ما يلزم من أسلحة، وأثناء قيامهم بذلك قام بسؤال الرجل كيف سنعود بعدما استعيد ولدي؟ فأنت تعلم أن هذه الكائنات تتحرك بشكل سريع للغاية؟! وقبل أن يجاوب الرجل عليه، سمع صوتا هو آخر ما توقعه.

لقد سمع صوت صهيل قوي!!!...

****

اندهش للغاية عندما رأى حصانا كبير الحجم أبيض اللون في أحد فتحات هذا الكهف، ثم تحدث إلى الرجل العجوز بتعجب: كيف استطعت تربية هذا الجواد هنا في هذا المكان؟!! فأجابه الرجل: بعد بفترة طويلة من اليأس والإحباط لم يعد هناك

شيء أقوم به ولذلك قررت الذهاب إلى المنطقة التي بها الباب المعلق الذي ألقى بنا إلى هنا وعندما وصلت إليه وجدت هذا الحصان عالق في البركة الطينية التي تقع أسفل الباب وقد كان صغيرا حين ذاك ولا أعلم كيف وصل إلى ذلك المكان ولذلك قمت بإخراجه وانقاذه منها ثم أخذته وقمت بتربيته حتى أصبح بتلك الضخامة والقوة، وكلما أردت اصطحابه أقوم بالركض به في المنطقة البعيدة عن قدرة آذان الكائنات المتوحشة، فقد أصبح هذا الحصان صديقي الوحيد في هذا المكان المقفر والآن هيا بنا لإنقاذ ابنك...

قام الاثنان بتوزيع الأسلحة على بعضهم البعض وفي تلك الأثناء قام الرجل العجوز بالتقاط القنينة التي ألقاها رمزي، مما جعل الأخير يتساءل قائلًا لما تقوم بأخذها؟! فرد الرجل العجوز في غموض: سنحتاجها في أمر ما، والآن سأخبرك بالخطة التي سوف نتبعها ....

قد كانت خطة الرجل العجوز مبنية على أن يقتربا بالحصان من المنطقة التي تعيش بها تلك الكائنات ثم يقومون بالركض به ومع صوت حوافره وهي تضرب الأرض ستتحرك كل المخلوقات الصيادة تجاه هذا الصوت القوي، في هذا الوقت سيقومون بالاختباء في أحد المناطق المليئة بالصخور عند النهر المالح وبعد خروج الكائنات الصيادة المتوحشة سيدخلون إلى قلب المستعمر لإنقاذ الولد الصغير قبل عودة تلك المخلوقات.

تفهم رمزي أن هذه الخطة هي أفضل طريقة لاستعادة ابنه ولذلك لم يجادل الرجل العجوز بها، ثم قاما الاثنان بإخراج الحصان خارج الكهف آخذين في التحرك لإنقاذ الولد الصغير.

وأثناء تحركهم في خفوت دارت بداخله محاكمة على ما فعله في حياته كيف استطاع أن يترك ابنه في غرفة العمليات بدون أن يقف إلى جانبه؟ كيف ترك ابنه يخُطف أمام عينيه؟ كيف ترك نفسه لشهوات وأطماع الحياة تقوده بهذا الشكل للبحث عن كنز وهمي ليس له وجود؟ لقد عاش حياة رجل لئيم بحق، ولكنه لن يترك ولده يضيع منه هذه المرة، سيقاتل هذه المخلوقات حتى آخر نفس بداخله، قطع

أفكاره تحدث الرجل العجوز لقد بدأنا نصل إلى منطقة الكائنات المتوحشة.

هنا وضحت الصورة أمام رمزي فالطريق الضيق الذي يمشون به بدأ يتسع بشكل هائل حتى وجد أمامه منطقة كبيرة للغاية مليئة بالرمال والأتربة، شديدة الحرارة، فلا يوجد بها أي أشجار بخلاف شجرة كبيرة للغاية تقع مباشرة خلف هذه المنطقة، ولكنها شجرة ميتة ليس بها حياة، أغصانها وفروعها جفت من شدة الحرارة حتى أصبحت متحجرة، وعندما اقترب أكثر بدأ يتبين له وجود العديد من الحفر الصغيرة منتشرة في المكان بأكمله ثم وجد مكان به صخور كثيرة على جانب الطريق، فنظر إلى الرجل العجوز للتأكد من أن هذا المكان هو المقصود فأشار إليه الرجل بالإيجاب ثم بدؤوا في الركض بالحصان للحظات متوجهين إلى منطقة الصخور للأختباء خلفها وبمجرد ما قاموا بذلك حتى سمعوا جلبة شديدة للغاية وفي اللحظة التالية وجدوا العشرات من المخلوقات المتوحشة تخرج من الحفر المنتشرة في المكان بأكمله وتنطلق باحثة في هستيريا عجيبة عن مصدر هذا الصوت، وبعد اختفائهم بلحظات قام الرجل العجوز بالتحرك مع رمزي مباشرة لأقرب حفرة تاركين الحصان خلف الصخور، هنا وجّه سؤاله إلى الرجل العجوز هل ستقوم بترك الحصان هنا بمفرده؟ فرد الرجل: لا تقلق فقد دربته بشكل جيد على تلك الأمور فلن يصدر أي صوت منه، والآن سنقوم باختيار أحد تلك الحفر للنزول بداخلها وبالفعل قاموا بإلقاء حبل بداخل إحدى الحفر بعدما قاموا بتثبيته قدر استطاعتهم بالأرض ثم بدأوا في النزول الذي امتد لبعض الوقت حتى لامست أقدامهم الأرض فتركوا الحبل ثم حاولوا أن يتبينوا المكان الذي هبطوا فيه فوجدوه خانق للغاية ذو رائحة كدرة وعلى بصيص من الضوء الذي يصل من الحفرة إلى أسفل الأرض وجدوا بيوت تشبه عشش الطيور تتخللها ممرات كثيرة للغاية تمتلئ بالعظام والجماجم على جانبيها، فأخذوا يتحركون بهدوء وسط هذه البيوت ثم لمح مجموعة من الكائنات نائمة في تلك البيوت العجيبة فهمس للرجل العجوز لماذا هذه الكائنات نائمة ولا تتحرك؟ فأجابه: لأن هذه الكائنات توفر الطاقة الخاصة بها فلا تستيقظ إلا للأكل فقط ولذلك تجدهم ضعاف البنية أما المخلوقات الصيادة فدورهم البحث عن الطعام والدفاع عنهم ولذلك فهم أقوياء للغاية، وبعد قليل من الوقت ظهر مكان متسع بعض الشيء

يقع في منتصفه عش هائل الحجم يوجد بداخله كائن ضخم للغاية بشع المنظر لأقصى درجة فنظر إلى الرجل العجوز قائلًا في خوف: ما هذا الكائن؟ فرد الرجل هذه هي الملكة التي تتحكم في المكان ككل ويخدمها كل هذه الكائنات، وهنا لمحوا وجود كائنان يقومان بشيء ما على أحد أطراف العش الكبير، فاقتربا من خلفهما بحرص ليعلموا ما الذي يقومان به وهنا كانت المفاجأة.

لقد وجدوا ابنه مغشيا عليه وملقى على الأرض، ويقوم هذان الكائنان بدهان جسمه بمادة لزجة غريبة اللون فنظر للرجل قائلًا له في فزع ما الذي يقومون به؟ فأجابه في توتر: إنهم يجهزاه للملكة لكى تأكله، لم يستطع رمزي بعد سماعه لهذه العبارة أن يسيطر على نفسه فقام بالعدو بشكل مفاجئ نحو هذان الكائنان، فانتبه إليه إحداهما، ولكنه لم يمهله فسدد إليه طعنة مباشرة في صدره فأطلق الكائن صرخة كبيرة ثم سقط صريعا، في ذلك الوقت كان الكائن الآخر قد أدرك أن هناك اختراق للمستعمرة فقام بالعدو هربا مطلقا صفيرا متقطعا، هتف الرجل العجوز به ما الذي تفعله يا أحمق لقد تسرعت في فعلك هذا الآن سوف تهجم علينا جميع الكائنات بما فيهم الملكة، فرد عليه في ارتعاش أثناء محاولته إفاقة ابنه: لقد أخطأت ولكني لم أستطع السيطرة على نفسي عندما رأيت ولدي بين أيديهم، وفي اللحظة التالية بدأ ابنه يفتح عيناه ويدرك ما حوله فقام رمزي بحمله على كتفه، ثم التفت ليعود ولكن الوقت قد تأخر... فإذا بملكة الكائنات تقف أمامهم مباشرة.

****

أطلقت الملكة عدة صيحات متتابعة كأنها تطلب منهم أن يتركوا الوجبة الخاصة بها ولكن الرجل العجوز لم يتردد في إطلاق سهم تجاه الملكة فأصابها في إحدى ذراعيها ثم أطلق عليها سهم آخر فاخترق صدرها فأطلقت صرخة مدوية هائلة ثم سقطت على ظهرها هنا سمعه رمزي يردد لقد انتقمت لابنتي، في ذلك الوقت بدأ يتناهى إلى مسامعهم ضجة هائلة فقام الرجل العجوز بإخراج القنينة التي ألقاها رمزي والممتلئة بالخمر ثم سكب جزء كبير من محتوياتها على عش الملكة وبعد ذلك أشعل بها النيران من خلال ضرب الصخور ببعضها البعض، وفي خلال لحظات انتشر

الدخان في كل مكان حتى انعدمت الرؤية تماما وفجأة وجدوا العشرات من الكائنات تتجه نحوهم من كل حدب وصوب ...

مرت لحظة صمت أخذ خلالها كلا من الرجل العجوز ورمزي يترقبان ما الذي سيحدث بعد ذلك فقد أصاب الدخان وحرارة نيران اشتعال عش الملكة تلك المخلوقات بحالة من الهرج والمرج جعلتهم لا يستطيعوا رؤية أي شيء هنا قام الرجل العجوز بجذب يد رمزي لاستمرار التحرك وفجأة قام الولد الصغير بالسعال....

كان صوت سعال الابن كافي للفت انتباه بعض تلك المخلوقات التي لم تتوان عن الانقضاض عليهم وضربهم بعنف شديد وعلى الرغم من مقاومتهم التي أدت لإسقاط أحد تلك الكائنات إلا إنها ظلت في مهاجمتهم بدون توقف وخلال ذلك بدأت تنتبه باقي الكائنات لمكان ذلك القتال الدائر فبدأت في التوجه صوبه، في تلك اللحظات شعروا أن المعركة لن تميل لصالحهم فقررا عدم الاستمرار في ذلك القتال ولذلك حمل رمزي ولده مجددا وأخذ يركض به وخلفه الرجل العجوز بكل قوتهم والكائنات تحاول ملاحقتهم والإمساك بهم، واستمرا في ذلك حتى وصلا إلى مكان الحبل اللذان تركاه مُدلّى من الأعلى، هنا قام الرجل العجوز بإشعال شعلة نار حتى يوقف هجوم تلك الكائنات عليهم ويترك الوقت لكي يستطع الأب تسلق الحبل ولكن للأسف بمجرد أن بدأ في ذلك حتى سقط هو والحبل....

****

أدركوا جميعًا أنها النهاية فكيف سيقومان بالخروج من هذا المكان بدون ذلك الحبل؟ أنهما يعلمان أن الوقت ليس في صالحهما فبعد قليل ستعود الوحوش الصيادة إلى المستعمرة وهذه الوحوش لن يستطيعوا أبدًا مقاتلتها، هنا قام رمزي بضم ابنه إليه، قائلًا في أسى أرجو أن تسامحني يا بني لقد أخطأت في حقك كثيرًا، فرد مندهشا وهو ينظر إليه: إني اسامحك يا أبي وفي تلك اللحظة سقط من الحفرة التي يقفون أسفلها ما لم يتوقعوه أبدا.

هتف الرجل العجوز فرحا: أنظر أنه سلم خشبي، فرد عليه: من أين أتى؟!! فتحدث الرجل العجوز لا يوجد وقت لتلك التساؤلات يا بني، المهم أنه هناك وسيلة للنجاة بها

من هذا المكان والآن هيا قم بالصعود.

قام الأب بصعود السلم وهو يحمل ابنه حتى خرج من تلك الحفرة واستقر على السطح ثم صعد الرجل العجوز أيضا فقد كان ممسكا بإحدى يديه درجات السلم واليد الأخرى الشعلة للدفاع بها، وبعد صعوده قام مسرعا بردم الحفرة على تلك المخلوقات وخلال ذلك لمحوا الكائنات الصيادة تظهر من بعيد وهي تعدو في اتجاه المستعمرة.

تحركوا سريعا تجاه الحصان وعند وصولهم إليه جلسوا ينتظرون حتى دخلت تلك الوحوش إلى المستعمرة وبعد تأكدهم من عدم وجود مخلوقات أخرى بالخارج قاموا بالركض بالحصان وخلال ذلك وجدوا الوحوش تخرج مجددًا محاولة اللحاق بهم...

تحدث الرجل العجوز هاتفا: لن نستطيع التخفي في الحفرة الخاصة بي سيكشفون موقعها ويهجمون علينا، ليس أمامنا إلا العدو حتى المنطقة التي لا يتعدونها، وبالفعل قاموا بذلك لكن غضب الكائنات من مقتل ملكتهم جعلتهم لا يتوقفون....

وبعد فترة من الوقت لاح وظهر لهم المكان الذي به الباب المعلق حتى قاربوا على الوصول إليه هنا هتف الرجل العجوز بيأس: لن نستطيع الهروب منهم فأمامنا بركة من الطين ستوقف حركتنا، لذلك فأنا لا أرى سوى حل واحد فقط، فسأله في لهفة: وما هو هذا الحل؟ فأجابه الرجل في حزم: أن أقوم بتأخيرهم بنفسي، هتف رمزي في جزع: وكيف ذلك؟



أوقف الرجل العجوز الحصان ثم هبط من عليه موجها نظره إليهم والدموع تملئ عيناه ثم تحدث في حزن: الوداع يا بني الوداع أيها الأب العابث ثم أردف في حزم «لا تفقد يد ابنك مرة أخرى» ثم نظر إليهم نظرة أخيرة ثم التفت عائدا مهاجما تلك الوحوش.

تفهم الأب تضحية الرجل العجوز لقد ضحى بنفسه لإنقاذه هو وابنه يا له من رجل شهم، ولذلك هتف به قائلًا: لن ننساك أبدا أيها الرجل النبيل، ثم استمر في الركض لدقيقة من الوقت وفجأة توقف الحصان، لقد وصلوا إلى منطقة البركة الطينية....

نظر الأب خلفه ليرى هل هناك أي من تلك الوحوش تطارده ثم تناهى إلى مسامعه صوت صياح تلك الكائنات وبعد لحظات لمح أحد تلك المخلوقات قادم في اتجاهه من بعيد، فبدأ في حض الحصان على خوض تلك البركة ولكن الحصان أبى أن يقوم بذلك مما جعله يشعر باليأس فلا مفر من مواجهة هذا الوحش وهنا وجد ابنه الصغير يصيح به: يا أبي اقفز بالحصان من فوقها، فتحدث الأب قائلًا: عندك حق يا بني ولكن كيف سأقوم بذلك؟!!..

بعد لحظات من التفكير لم يجد حلا إلا أن يقوم بالارتجال فقام بالالتفاف بالجواد حول نفسه ليكسب مساحة من الأرض ثم دفع الحصان بقدميه بكل قوته وهنا قفز الجواد قفزة هائلة عبرت بهم من فوق البركة في ذلك الوقت وصل المخلوق المتوحش إلى أول المنطقة الطينية ثم وقف يتأمل بهم.

كتموا أنفاسهم متوقعين أن يقوم هذا الوحش بالقفز من فوق البركة ومهاجمتهم، ولكن هذا لم يحدث لقد وقف ذلك الكائن يضرب بيديه الأرض غاضبا وهو ينظر إليهم وبعد لحظات قام بإطلاق مجموعة من الصرخات في وجههم ثم قام بالالتفاف والعودة... هنا تنفسوا الصعداء أخيرا انتهي خطر تلك الكائنات.

****

خلال تحركهم على الممر الخشبي، سأل الولد الصغير أباه ما هذا الباب المعلق يا أبي؟! فأجابه في رجاء: أعتقد أنه بوابتنا للخروج من هذا المكان، وأثناء ذلك انطلق صوت شديد من الباب المعلق فرفع كل من الأب وابنه عيناهم إليه في فزع شديد، فقد وجدوا الباب قد بدأ في التحرك هابطا حتى استقر على الممر الخشبي أمامهم هنا شعر الأب بانبهار حقيقي كيف حدث ذلك؟!! كيف هبط الباب بهذه السهولة؟!! قطع أفكاره تساؤل أبنه: هل سنأخذ الحصان معنا يا أبي؟ أم سنتركه هنا؟ فأجابه الأب قائلًا: لا لن نتركه سنصطحبه معنا ثم أمسك الأب بيد ابنه متحركا نحو الباب وبمجرد أن لامست يده مقبض الباب حتى أضاء بشدة ثم خفت ضوءه مرة واحدة وفتح الباب سريعا.

عبر الأب وابنه ومعهم الحصان الباب وبعد عبورهم أغلق الباب تلقائيا هنا نظر الأب أمامه ليتبين المكان الذي به فوجد نفسه في خندق متسع بعض الشيء عن الذي أتى منه عندما عبر الباب أول مرة، وبعد قليل من التحرك وسط الظلام سمع صوت غريب للغاية وفجأة وجد فيضان من الطين يغمر المكان ككل فقام بضم ابنه الذي صرخ فزعا هل سنموت يا أبي؟ فرد عليه بصوت مرتعش ممزوج بالألم والطين يغمر وجهه: لا يا بني لن أفقدك مرة أخرى وفي خلال بضع ثوان كان الطين قد غمر المكان بأكمله.

الباب الثالث

«لا تترك ذراع أخيك»

أمسك شوقي مقبض الباب الخاص به في حماس هاتفا في صوت عال مرحبًا بالكنز ثم فتح الباب على الفور غير مبالي بتوهجه الشديد وبعد عبوره الباب شاهد على ضوء المصباح الذي معه غرفة صغيرة الحجم يتوسط أرضيتها فتحة دائرية، فقام بالتوجه إليها لتبينها وبمجرد تحركه انغلق الباب خلفه بقوة مما جعله يشعر ببعض التوتر فتحدث إلى نفسه مبددا ذلك الشعور: بالتأكيد هناك مخرج آخر ولكن المهم الآن العثور على الكنز ثم اقترب من الدائرة المتواجدة في منتصف الغرفة فنظر بها فوجد درجات سلم خشبية تمتد إلى الأسفل بشكل أسطواني، في تلك الأثناء قرر أنه ليس أمامه طريق آخر بخلاف استخدام ذلك الدرج فمد قدميه وبدأ في النزول.

وخلال نزوله تبين أن درجات السلم مثبتة بدرابزين خشبي عتيق يصدر صريرًا مخيفًا كلما وضع قدمه على أحد درجات السلم، ثم حاول أن يمد بصره حوله فلم ير أي شيء فالظلام يحيط به من كل جانب حتى المصباح الذي معه لا يضئ له إلا درجات السلم فقط، وبعد فترة طويلة من الوقت شعر بالإرهاق فتحدث إلى نفسه متسائلا: أليس لهذا الدرج نهاية؟!! ثم حاول أن يمد يده ليتحسس أي جدار وفجأة أصابته الصدمة، فلم تعثر يداه على أي شيء مجرد فضاء مليء بالضباب.

في تلك اللحظة كاد أن يسقط لولا تشبثت يده بأحد أطراف الدرابزين هنا قرر أن يجلس ليستريح قليلًا وليلتقط أنفاسه ثم أخذ يتساءل: ما هذا الفراغ العجيب الذي يحيط بي؟!

وعندما لم يجد أي إجابة قام باستكمال رحلته بالنزول مرة أخري وبعد برهة من الوقت لمح بصيص من النور يأتي من الأسفل فتابع الهبوط في حماس مسرعًا، ثم فجأة انتفض من الرعب فقد وجد قدمه لا تضغط على شيء أسفلها، حاول أن يعدل وضعية جسده ليتفادى السقوط، ولكن اندفاعه في النزول حال دون ذلك فمد يديه تاركا المصباح يسقط ليتشبث بأي شيء فتعلقت إحدى يداه بأخر درجة من درجات

السلم، ثم حاول مد يده الأخرى ليتشبث أكثر، ولكن آخر سلمة بدأت في الانفصال من جانبيها.

أدرك شوقي أنه سيسقط لا محال فنظر إلى الأسفل فوجد جسده مُدلّى وتحته ضباب عجيب للغاية وما هي إلا لحظات وانفصلت السلمة!!...

وجد نفسه يهوى في ذلك الفراغ فأطلق صرخة هلع هائلة ثم فقد الشعور بكل ما حوله...

****

أفاق شوقي على شعوره بآلام في جميع نواحي جسده فقام بفتح عيناه ببطء فوضح له أنه ملقى على أحد جانبيه على أرضية رطبة بعض الشيء وذلك بما شعر به من ابتلال جانب وجهه، فحرك يده ليتحسس جسده خوفا من وجود كسور به ولدهشته لم يجِد به أي أصابات فقام بالاعتدال في جلسته ثم نظر حوله فوجد ظلام يتخلله ضوء باهت للغاية يأتي من فوقه فنظر إلى الأعلى ليتبين مصدر هذا الضوء، فانتفض فزعا لما رأى فما شاهده كان صادما للغاية...

حاول أن يستجمع شتات نفسه فنظر مرة أخرى لأعلى فوجد فوهة بئر شاهقة الارتفاع يرى من خلالها جزء من السماء وعلى إحدى أطرافها يقبع باب يضئ بنور قوي كأنه معلق في السماء ثم بدأ شوقي يسأل نفسه كيف أتى إلى هذا المكان؟! وكيف لم يقض نحبه خلال سقوطه من على ذلك الدرج؟! ثم نظر إلى ساعته فوجدها قد تحطمت مما زاد من استيائه وأثناء ذلك سمع صوت خلفه فالتفت ينظر إلى مصدر الصوت، ولكن لم ير شيئًا ثم تكرر الصوت مرة أخرى فتحدث مع نفسه قائلًا: ما هذا الأنين؟!! ثم بدأ بالتحرك بحذر نحو الصوت وفجأة رأى مالم يتوقعه أبدا.

لقد وجد شخص يجلس القرفصاء ويأنّ خوفا فتحدث شوقي إليه في حذر: من أنت؟! فحرك هذا الشخص وجه ولم يرد بكلمة فاقترب شوقي منه أكثر ليكتشف ملامحه ثم سأله مجددا لماذا لا تجيب على سؤالي ألم تسمعني؟ فتحدث الشخص

صائحا: أخي شوقي!!!.....

كانت صدمة هائلة بالنسبة إليه أن يجد أخاه الأصغر هشام هنا في هذا المكان فهذا كان آخر شيء يمكن أن يتوقعه!

ساد الصمت في المكان للحظات انعقد خلالها لسان شوقي فلا يدري ما الذي سيتحدث به، قطع هذا الصمت تحرك هشام نحو أخاه ليحتضنه وبعد مرور برهة من الوقت سأله كيف أتيت إلى هنا؟!! فرد عليه: بل أخبرني أنت كيف أتيت إلى هذا المكان؟!! فأجابه في استغراب: لقد كنت أقوم بتحضير شنطة السفر الخاصة بي ثم غلب على النعاس وعندما استيقظت وجدت نفسي هنا، ثم تابع قائلًا ولم يمض علي ساعة من الزمن حتى سمعت صوت ارتطام بجواري مما أثار ذعري ثم بعد فترة من الوقت وجدتك تتحدث إلي والآن أخبرني حكايتك؟ صمت شوقي قليلًا لم يرد خلالها أن يخبر أخاه بالحقيقة ثم تحدث في حذر: لا أعلم لقد كنت في رحلة مع بعض الرفاق بمنطقة الأهرامات ثم سقطت في حفرة عميقة وأثناء ذلك فقدت الوعي وعندما أفقت وجدت نفسي هنا، والآن دعنا نستريح قليلًا حتى نفكر كيف سنخرج من هذا البئر....

بعد مرور برهة من الوقت بدأ نور الصباح يغمر البئر فبدأ يتبين للأخوين معالم المكان اللذان يقبعان فيه فاندهشا لما رآه فقد كانت أرضية البئر بها العديد من الهياكل العظمية البالية الملقاة على جوانبه التي تحيطها الصخور من كل جانب بشكل دائري، والعجيب أن تلك الصخور تمتد حتى منتصف ارتفاع البئر فقط، ثم تمتد بعدها جدران أخرى مصقولة للغاية وأكثر اتساعا حتى نهاية سطحه ويا له من ارتفاع شاهق، ثم دار السؤال بين الأخوين كيف يتسلقان تلك الجدران؟

تحدث الأخ الأصغر قائلًا: هيا بنا لنجرب تسلق هذه الجدران فيمكن أن ننجح في الوصول لذلك الباب المضيء أعتقد أن خلاصنا سيكون من خلاله، فرد عليه في ضيق: لا أعتقد أن الأمر سيكون بهذه السهولة دعنا نفكر قليلًا، ثم صمت للحظات لقد بدأت أطماعه تحثه على التفكير في الكنز مرة أخرى فهل يصل إلى هذا المكان ويخرج بدون شيء؟! محال بالطبع سوف يبحث في كل ركن من جوانب هذا البئر

عسى أن يجد شيئا وبالفعل بدأ شوقي يتجول متلمسا الصخور حتى وجد بعض الثقوب في أرضية البئر فمد يده بداخلها، وهنا سأله هشام ما الذي تفعله؟ فأجابه في حدة وهو يحاول بيده باحثا في الثقوب واحدًا تلو الآخر: إني أحاول أن اكتشف ما بداخل تلك الثقوب فتابع الأخ: وما الذي تتوقعه بداخلها؟! تجاهل الرد عليه متحدثا في أمر آخر بصوت عال: أعتقد أن هذه الثقوب مخصصة لتصريف مياه الأمطار وإلا كان الجب قد امتلئ بالماء، وفي تلك اللحظة لامست يد شوقي شيئا ما فصاح فرحا: لقد وجدته! ثم مد يده أكثر ليستطيع الامساك بما لمسته يداه، ولكن ذراعه حشر في الثقب فهب أخاه لمساعدته حتى أخرج يده وهي ممسكه بحقيبة من القماش البالي ثم صاح قائلًا بدون أن ينتبه: لقد وجدت الكنز!!

نظر هشام إليه في تعجب مرددا كلامه: كنز! أي كنز تتحدث عنه ها هنا؟!

أدرك شوقي أن أمره قد كُشف أمام أخيه ولكن المهم هو عثوره على الكنز ولذلك لم يعره اهتماما وقام بفتح الحقيبة علي الفور ...

مطرقة ومثقاب فقط؟! هل هذا هو الكنز الذي حصلت عليه؟!!! صرخ هشام غاضبا بوجهه قائلًا: الآن أخبرني كل شيء؟؟ فرد عليه في غضب: نعم لقد أتيت إلى هنا من أجل البحث عن الكنز ثم قص الحكاية على أخيه بالكامل.

صاح هشام قائلًا: أطماعك هي من أتت بنا إلى هذا المكان العجيب، الذي أصبح مقبرة لنا، لقد قمت بسرقة أخاك الأصغر، كيف سولت لك نفسك أن تقوم بذلك، فرد شوقي في حقد: لأنك دائما كنت تأخذ كل شيء ولم تترك لي أي شيء، فرد عليه مستعجبًا: وما الذي أخذته منك؟ فبادره بالرد لقد أخذت مني كل أحلامي وأهمهم السفر فقد آثرتك على نفسي ومنحتك الفرصة التي كانت من حقي أنا، فرد عليه في حزن: كم أنت حقود وخائن للأمانة، وفي تلك اللحظة انقض شوقي على أخيه متعاركا معه.

استمر الصراع بين الأخوين لفترة وجيزة استطاع خلالها أن يسقط أخاه الأصغر ثم أمسك بيده أحد العظام البشرية الملقاة بجانبه وكاد يهوي بها على رأس أخيه..

هل ستقتل أخاك؟! هنا ثبتت يد شوقي بعد ما استمع لتلك العبارة ثم نظر في وجه أخاه لقد كانت عيناه مليئة بالحسرة والألم هنا تذكر أنه وراء كل ما حدث لقد تسبب حقا في إحضار أخاه إلى هنا وقام بإتلاف أمواله وضياعها والآن يريد أن يقتله، لقد أدرك كم هو نذل، هنا أسقط ما يمسكه بيده ثم سقط بجسده بجوار أخيه باكيا. مر بعض الوقت والأخان مستلقيان على ظهريهما بجوار بعضهم البعض ثم تحدث هشام ماذا سنفعل الآن؟ فأجابه في حزم: سنخرج من هذا المكان بأي ثمن....

****

بدأ الأخان بتسلق الصخور فقد ساعد شوقي خبرته السابقة كقائد للكشافة في سهولة التسلق ولذلك استمرا لفترة طويلة من الوقت حتى حل الظلام وأنهكهما التعب فجلسا ليستريحا وليتحدثا سويا، فقال هشام في اندهاش: لماذا لا أشعر بالجوع أو العطش حتى الآن؟! فأجابه شوقي: أنا أيضا لا أشعر به هل من الممكن أن يكون هذا المكان هو ما يجعلنا لا نشعر بذلك؟!! فرد هشام: أعتقد هذا فهذا المكان غريب ومخيف لأقصي درجة ثم تابع قائلًا هل أتيت بالأدوات التي وجدتها أسفل؟ فأجابه: لقد أحضرتها معي عسى أن نحتاج لاستخدامها ونحن في طريقنا إلى الصعود، فرد هشام وهل تعتقد أننا سننجح في هذا؟؟ لم يجب عليه فقد أسند ظهره على أحد الصخور وأغمض عيناه من التعب ثم استغرق في النوم...

أفاق شوقي على صوت لم يسمع أبشع منه في حياته، فالتفت إلى أخاه مذعورا ما هذا الصوت ومن أين يأتي؟! فرد هشام في فزع لا أدري يمكن من داخل الصخور، وفي تلك اللحظة اندلع الصوت مرة أخرى صوت مخيف لأقصى درجة فنظر إلى الأعلى محاولا العثور على مصدر هذا الصوت، ولكنه لم يدرك من أي اتجاه جاء، فقط كانت أصداؤه تتردد في المكان بأكمله ثم وجد أخاه الأصغر يسأله في استغراب كيف مات هؤلاء الذين وجدنا عظامهم بالأسفل؟ فرد عليه في خوف يمكن من السقوط في محاولة تسلق جدران هذا البئر.

بدأ الأخان في تسلق جدران البئر الصخرية مجددا حتى وصلوا إلى منطقة بها فجوة كبيرة داخل الصخور فقام الأخوين بالدخول إليها لاكتشاف ما بداخلها.

اندهش الأخان مما شاهدوه داخل تلك الفجوة فقد كانت جميع جوانبها مغطاة بشمع متداخل معه نسيج مختلف ألوانه ملمسه أقرب إلى الحرير تتطاير خيوطه في جميع أرجاء المكان، ثم سأله هشام كيف حفر مكان كهذا؟ فرد شوقي في استغراب: لا أعلم يا أخي، ولكن هذه الفجوة نهايتها لا تتجاوز عدة أمتار لقد اعتقدت أنها يمكن أن تكون مخرج لنا من هذا البئر والآن يجب علينا الحذر من الانزلاق فالأرض تمتلئ بذلك الشمع العجيب ثم مد يده ليتحسس ذلك الشمع فانتفض من الألم فهتف هشام ما الذي حدث فرد عليه في ذعر: هذا الشمع به مادة حارقة كادت أن تحرق يدي ثم أردف قائلًا:

نحمد الله أننا نرتدي أحذية في أقدامنا وإلا كانت قد احترقت، وأثناء ذلك انطلق الصوت المخيف مرة أخرى، ولكن في هذه المرة كان قريب للغاية، في تلك اللحظة تحرك الأخان تجاه مصدر الصوت الذي أتى من خارج الفجوة وأثناء محاولاتهم الخروج تجمدوا في أماكنهم من الرعب.

****

لقد بدا لهم عنكبوت هائل لم يروا أضخم منه من قبل تسلل إلى الفجوة من أعلى مدخلها واستقر أمامهم مباشرة هنا صرخ هشام في انهيار: إنها النهاية، لم يدرك شوقي ما الذي يمكن فعله فذلك العنكبوت يتحرك بسرعة وسهوله على تلك الأرضية اللزقة كما أن حجمه الكبير يمنعهم من مراوغته والعبور من جانبه وأثناء ذلك قام العنكبوت بالانتصاب علي أرجله الخلفية مطلقا دفعة من شباكه من منتصف معدته تجاه الأخوين الذين حاولا تفاديها ولكنها التصقت بقدم شوقي الذي نظر في هلع إلى ما التصق به فوجد خيط سميك أحاط بقدميه وفي اللحظة التالية قام العنكبوت بسحب الخيط فسقط على الأرض.

أيقن شوقي أنه هالك لا محالة فالعنكبوت كان يسحبه بقوة غير طبيعية وعلى الرغم من الآلام المبرحة التي شعر بها في يديه ورأسه من احتكاكه بذلك الشمع الملتصق بأرضية الفجوة إلا أن يداه كانت تبحث عن أي شيء يتشبث به وفجأة التقطت احدى يديه الحقيبة التي بها الأدوات الحديدية ففتحها على الفور ثم أمسك

بالمثقاب، ولكن الوقت كان قد تأخر، فصار جسده كاملا أسفل العنكبوت بالفعل وهنا وجد رأس العنكبوت بعيونه العديدة تقترب منه لتتأمل الوجبة الدسمة التي ستحظى بها، هنا أقدم شوقي على أجرأ خطوة يمكن أن يتخيلها أحد...

على الرغم من صراخ هشام وهو يرى العنكبوت يقترب برأسه من أخيه ليقوم بالتهامه إلا أن شوقي كان له رأي آخر فقد استغل تراجع العنكبوت عدة خطوات ثم قام بثني جسده حتى لامست قدميه وجهه ثم فرد جسده مرة واحدة ضاربا بقوة قدميه بالأرض فاندفع جسده واقفا وفي تلك اللحظة انقض العنكبوت عليه.

قام شوقي بدفع يديه معا بكل قوته طاعنا المثقاب في رأس العنكبوت وبالفعل نجح في ذلك وفي تلك اللحظة أطلق العنكبوت صرخة ألم رهيبة وبدأ في التخبط في جميع أرجاء الفجوة، ولكن شوقي لم يترك المثقاب قط لأنه يعلم أنه إذا نجا العنكبوت من ذلك فلن يرحمه هو وأخيه، ولذلك قام بغرز المثقاب أكثر وما هي إلا لحظات حتي فقد العنكبوت قوته و سقط على الأرض صريعا.

أخذ بتقطيع الخيط الملتف حول قدميه بمساعدة أخيه هشام ثم قام بخلع المثقاب من رأس العنكبوت ووضعه في الحقيبة مع المطرقة ثم وقفوا قليلًا ليلتقطوا أنفاسهم وهم في دهشة من أمرهم ثم قال لأخيه هيا بنا نتحرك من هنا قبل أن يظهر لنا وحش آخر.

استمر الأخان في تسلق الأحجار حتى انتهت المنطقة التي بها الصخور وهنا تحدث هشام قائلًا في قلق وذعر: لقد وصلنا إلى المنطقة التي ليس بها صخور كيف سنتمكن من تسلق الجدران!!؟ صمت شوقي قليلًا وهو يفكر وينظر إلى الأعلى متأملا جدران البئر المصقولة والممتدة حتى قمته ثم تحدث: سنجد حلا بإذن الله ولكن الليل قد حل علينا ولذلك سنستريح حتى الصباح...

مع أول خيوط ضوء الصباح وقف الأخوين ينظران إلى جدران البئر المصقولة التي تحيط به من كل جانب، في محاولة لإيجاد طريقة لتسلقها وأثناء تأملهم تحدث شوقي قائلًا لا يوجد سوى طريقة واحدة لتسلق تلك الجدران فرد أخاه متشوقا: وما هذه الطريقة؟ فأجابه في حزم: أن نقوم بالحفر بها....

سأله هشام وكيف سنقوم بذلك؟! فأجابه على الفور: من خلال أدوات الحفر التي معنا المطرقة والمثقاب سنقوم باستخدامهم بحفر ثقوب صغيرة نستطيع التعلق بها بأيدينا وأرجلنا على أن يقوم أحدنا بحمل الآخر أثناء عملية الحفر، حتى يستند عليه ويكون دور الآخر هو أن يقوم بعمل الثقوب بالجدار وكلما حفرنا أكثر صعدنا أكثر حتى نصل إلى قمة هذا البئر، هنا أشار إليه هشام بالموافقة على ذلك الرأي فلا يوجد حل آخر سواه....

ثم جاء سؤال شوقي: من منا سيحمل الآخر؟ فأجابه هشام: سأقوم أنا بحملك، صمت شوقي قليلًا ثم قال له في إشفاق: لا لن تستطع فبنيتك الجسدية ضعيفة ولذلك أنا من سيقوم بحملك وأنت ستتولى مسئولية الحفر، أومأ هشام برأسه موافقًا رأيه ثم أخذ المطرقة والمثقاب وبدأ في الحفر.

****



أخذ الأخان في رحلة الصعود مجددا ويا لها من رحلة مستحيلة فهما يعلمان أن أي خطأ ولو صغير سيترتب عليه السقوط من هذا الارتفاع الهائل المؤدي حتما الى الهلاك ومع مرور الوقت توالت حفر الثقوب بجدار البئر واحدا تلو الآخر وفجأة انحشر المثقاب بالجدار!!!

هنا هتف شوقي بأخيه ما الذي حدث؟ فأجابه: لقد انحشر المثقاب ولا أستطيع إخراجه من الحائط فماذا أفعل؟! فرد منزعجا: هل قمت بالطرق عليه بقوة حتى يحدث ذلك؟ فأجابه: لا لم أقم بهذا لقد تغلغل حتى قرب نهايته بالجدار بطريقة عجيبة لا أعلم كيف حدثت؟!!

صاح به لا تسحب المثقاب بقوة فتسقط، ولكن هنا لم يستمع هشام لأخيه شوقي

فقد شعر أنه هو المسؤول عن حشره بالحائط، فقام بكل قوته بسحب المثقاب وفجأة انزلقت يده فاختل توازنه وسقط ،،،،،

****

لم يتردد شوقي لحظة واحدة فقد قفز ليسقط خلف أخاه وأثناء سقوطهما أمسك بقدم هشام، ولكن يا للأسف فكلاهما أصبح في الهواء وهنا صاح شوقي بأعلى صوته في حالة فزع لن اتركك أبدا يا أخي.

في تلك اللحظة حدث شيء غريب للغاية فقد سقط بجوارهما حبل غليظ؟!

لم يفكر شوقي كثيرًا في كيفية حدوث ذلك فقفزت يده لتتشبث بالحبل بكل قوته وبالفعل استطاع أن يوقف سقوطهما فوجد هشام يحاول أن يعدل من وضعية جسده لينظر كيف توقف في الهواء ولم يسقط، فتحدث شوقي إليه هاتفا: لا تقلق يا أخي لقد سقط حِبل بجوارنا ولا أعلم كيف حدث هذا والآن يجب عليك أن تتشبث بالجزء الأخير من الحبل لأني لن أستطيع الصمود في الإمساك بكليكما.

قام الأخان بتسلق الحبل حتى وصلوا إلى المكان الذي سقطوا منه وهنا كان اندهاشهم لأقصي درجة فمن الثقب الذي حشر به المثقاب كان الحبل يمتد ويتدله والغريب أن المثقاب لم يسقط فقد كان مربوطا بأسفل ذلك الحبل...

استراح قليلًا كل من الأخوين من خلال مسك الحبل والاستناد على الثقوب التي صنعوها بالحائط من قبل حتى التقطوا أنفاسهم ثم بدأوا في الاستمرار في الحفر مجددا وأثناء قيام الأخ بذلك تحدث شوقي في ندم: أرجو أن تسامحني يا أخي، هنا نظر إليه أخاه مبتسما أنت أخي الأكبر فكيف لا أسامحك كما أنك قمت بإنقاذي منذ قليل ساد الصمت بضعة لحظات وكلاهما ينظران إلى بعض وهنا سمعوا صوت طرقعة شديدة في الأعلى فرفعوا رؤوسهم فوجدوا الباب المعلق يومض بشده هنا تحدث الأخ الأكبر لأخيه يحمسه أسرع يا أخي إن الباب ينادينا واستمر الأخان في الصعود بمساعدة بعضهما لعدة ساعات حتى غلبهم التعب وحل عليهم الليل ولكنهم كانوا يعلمون أنهم في هذا موقفهم هذا لن يكون هناك مجال للراحة كما أنهم قد

قاربوا على الوصول إلى قمة البئر ولذلك استمروا في الحفر والتسلق رغم تعبهم الشديد حتى تناهى إلى مسامعهم صوت غريب قادم من أعلى البئر فوجهوا بصرهم تجاه مصدر الصوت فوجدوا مجموعة من الخفافيش تتساقط داخل البئر بسرعة شديدة وقبل أن ينطق أي من الأخان وجدوا الخفافيش تنقض بقوة عليهم مباشرة ، لم يعلم الأخان ما الذي يمكن أن يقوموا به فهجوم مثل ذلك يمكن أن يقضي عليهم على الفور، فهم لن يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم وهم متشبثين ببعض الحفر الصغيرة بجدار البئر فأي حركة ستسقطهم ولذلك قاموا بإغلاق أعينهم حتى لا يشاهدوا هلاكهم.

سمع الأخان صوت أجنحة الخفافيش وهي ترفرف بالقرب منهم ثم فجأة صمت كل شيء من حولهم ففتحوا أعينهم فلم يجدوا أي أثر لهم فظلوا مندهشين لبعض الوقت حتى لمح الأخ الأكبر شيئا ما فسر له كل ذلك، لقد وجد وسط الظلام فجوة صغيرة تقع بالقرب منه، هذه الفجوة هي التي كانت تنشدها تلك الخفافيش فذلك هو عُشّهم الذي يبغونه، وهنا التقطوا أنفاسهم ثم بدأوا في الحفر والتسلق ثانية.

كاد الليل أن ينقضي والأخان يتعاونان في الصعود وكانت كل خطوة يقومان بها بمثابة أمل لهم في النجاة من هذا المكان الموحش حتى أشرق عليهم ضوء النهار وبعد قليل من الوقت استطاعوا أن يبلغوا حافة البئر وفي اللحظة الأخيرة وجدوا أنفسهم يجلسون على الأرض وينظرون إلى بعض في تعجب كيف خرجوا من هذا البئر ثم انتابتهم حالة من الضحك والبكاء في نفس الوقت.

ظل كل من الأخوين في تلك الحالة الغريبة بعض الوقت حتى هدأت أنفسهم ثم بدأوا يتبينون ما حولهما فلم يجدوا إلا منطقة من الحشائش الخضراء ممتدة على مرمى البصر من جميع النواحي هنا تحدث هشام: ما هذا المكان العجيب؟! فأجابه شوقي: بالفعل أنه عجيب بحق ولكن المهم الآن أن نقوم بالوصول إلى هذا الباب المعلق فوق البئر وفجأة تألق الباب بشكل غريب ثم بدأ في التحرك تجاههم حتى استقر أمامهم مباشرة!

****

نظر الأخان إلى الباب في فرح عارم قائلين لبعضهما فلنعبر سويا هذا الباب على الفور ...

مد شوقي يده فأمسك بمقبض الباب ثم قام بفتحه، فوجد غرفة تشبه نفس المكان الذي جاء منه إلى هنا ولذلك تحدث مع أخاه هشام قائلًا انتظرني هنا ولا تأتي خلفي حتى أتبين المكان وأنادي عليك، ثم عبر داخل الغرفة وفجأة دلف هشام إلى الغرفة فهتف به شوقي غاضبا: ألم أقل لك ألا تأتي خلفي وفي اللحظة التالية انغلق الباب تلقائيا مما أثار الفزع في أنفسهم هنا تحدث شوقي قائلًا أرجو ألا يتكرر الأمر ثانية، ومرة واحدة اهتزت الأرض من تحت أرجلهم وقبل أن يدركوا ما الذي حدث وجدوا الأرض تسقط من تحت أقدامهم ثم سقطوا في فراغ لا نهاية له !!......

الباب الرابع

«لا تنس وجه أبيك»

نظر أكرم إلى الباب للحظة ممنيًا نفسه خلالها بالعثور على الكنز، ثم عبر الباب إلى داخله وفي اللحظة التالية أغلق الباب تلقائيا خلفه ولكنه لم يتأثر لما حدث، فقد أعتقد أن صديقة زاهر هو الذي أغلقه للمزاح معه، ثم نظر على ضوء المصباح الخاص به، فوجد نفسه داخل خندق شديد الظلام أرضيته من الجرانيت وجدرانه وسقفه من الصخور، فتابع التحرك وسط الظلام الكثيف الذي لم يقطعه سوى شعلة المصباح الباهتة، وبعد فترة من الوقت تبين أن منسوب أرضية هذا الخندق ترتفع كلما تحرك مما أصابه بالاندهاش قليلًا ولكنه لم يشغل نفسه بهذا الأمر كثيرًا، ثم تابع خطاه وكلما مر عليه الوقت زاد غضبه من عدم استطاعته إيجاد مخرج من ذلك الخندق حتى أصابه التعب والإرهاق فوقف قليلًا ليستريح ثم تحدث لنفسه قائلًا في غضب: أخشى أن ينقضي الوقت المخصص لي للعثور على ذلك الكنز؟ كيف سأواجه زملائي؟ وأثناء ذلك شعر فجأة ببرودة شديدة تجتاح جسده فاستمر في تحركه ليتكشف له مصدر تلك البرودة وبعد قليل بدأ يظهر له بصيص من الضوء يأتي من بعيد، فقام بالركض ليصل إليه وعند وصوله تبين له أن مصدر ذلك الضوء باب مضيء يشبه الباب الذي تركه خلفه فقام بفتحه وبمجرد ما عبره حتى هاله المنظر....

****

وجد أكرم نفسه على قمة هرم لم ير أكبر منه في حياته فبدأ يتساءل كيف وصل إلى هذا المكان؟ هل قاده ذلك الخندق اللعين إلى قمة الهرم؟ ولكن هذا الهرم يختلف تماما عن الهرم الذي يعلمه فهو في ضعف حجمه، ثم قام بالالتفات خلفه فوجد أن الباب الذي عبر من خلاله قد تلاشى؟؟!!!

على الرغم من قوة بأس أكرم إلا أنه قد انتابته حالة من الهلع ولذلك جلس قليلًا ليستجمع رباط جأشه وبعد فترة وجيزة وعلى الرغم من ظلمة الليل وكثافة الضباب

الذي حوله بدأ يتبين المكان الذي به، فهو يجلس على قمة هرم مشابه في تكوينه الصخري الهرم الذي يعلمه، ولكنه يقبع في مكان لا يحيط به شيء من الأسفل فلا يوجد بيوت أو شوارع أو أي شيء من الذي يعلمه كأنه قطعة من الحجارة ألقيت في الفراغ في جو بارد لأقصى حد...

ثم بدأ يتساءل: أين يمكن أن يتواجد الكنز؟ هل من الممكن أن يجده بين هذه الصخور؟! ولكن كيف سيهبط من على ذلك الهرم؟ وبعد فترة من التفكير قرر أن يبدأ في البحث عن الكنز أولا ثم يأتي بعد ذلك البحث عن مخرج من هذا المكان...

وعلى ضوء المصباح الذي معه بدأ في البحث عن الكنز بين الصخور، قافزا من صخرة إلى أخرى حتى مر عليه وقت طويل وهو يبحث بكل جدية وبدون توقف، ولكن للحسرة لم يجد شيئا! حتى أنهكه التعب فجلس بجوار إحدى الصخور يلتقط أنفاسه ثم أخرج قنينة ماء من الحقيبة الخاصة به تناول منها بعض الرشفات، وفجأة تناهى لمسامعه صوت أنين غريب قادم من بين الصخور، فتحرك أكرم هابطا من موقعه درجة من الصخور ثم قام بالنزول درجة أخرى فارتفع صوت الأنين فتأكد أنه يقترب من الصوت فهبط درجة أخرى فوجد رجل يجلس مسندا ظهره إلى أحد الصخور، ولكن الغيوم حجبت رؤيته بوضوح فاقترب بحذر منه، ومرة واحدة وجد نفسه يسقط على الأرض من المفاجأة؟!

****

(أبي)؟! نظر الرجل العجوز لابنه في ذهول وحيرة ثم تحدث في ارتعاش: ولدي؟!!! فاندفع أكرم محتضنا والده بقوة ثم تحدث في حزن وأسى: كيف أتيت إلى هنا يا أبي؟!! أجابه الأب في خوف: لا أعلم يا بني لقد دلفت إلى السرير للنوم وبعد قليل وجدت نفسي هنا، لقد شعرت بالموت من هول الموقف، رد أكرم في ألم: لا تقلق يا أبي سنمر من تلك المحنة فرد عليه الأب في ارتجاف: أتمنى ذلك يا بني!! ثم سأله: هل أنت السبب في تواجدنا في هذا المكان؟ صمت أكرم قليلًا مفكرا في الاعتراف له بكل شيء، ولكنه وجد نفسه يجيب منكرًا باقتضاب: لا يا أبي لست أنا السبب في ذلك، ثم أردف الآن سنحاول أن نهبط من فوق هذا الهرم فرد والده؛ وكيف سأقوم

بذلك وأنت تعلم أني لا أستطيع الحركة؟ فأجابه: لا تقلق يا أبي سوف أحملك فوق ظهري فهذا حق لك عليّ .

شعر أكرم أن الوقت ليس في صالحهم فبروده الهواء كفيلة بأن تجمدهم حتى الموت، ولذلك اضطر أن يترك جميع المعدات التي كانت معه وللأسف لم يحضر معه أي حبال كانت بالتأكيد ستعينه في ذلك الموقف، واكتفى بأخذ المصباح الذي ربطه على ظهر والده ثم أخذ معه قنينة الماء بوضعها في جيبه، وما هي إلا لحظات وقام بحمل والده وبدأ في رحلة الهبوط من على ذلك الهرم، وعند النزول من على أول حجر أدرك أكرم أن رحلة الهبوط ستكون صعبة للغاية، بل يمكن أن تكون مستحيلة فوجود والده على ظهره سيؤدي إلى اختلال توازنه والسقوط لا محالة، ولكن للأسف لا يوجد طريقة أخرى، ولذلك استجمع شجاعته ثم أدلى بجسده من على الحجر الذي يقف عليه متشبثا به بكلتا يديه ثم ترك قدماه تسقطان على الصخرة التي تقع أسفله، واستمر في عمل ذلك وقد طمأنه اتساع رقعة الصخور في كل درجة يهبط من عليها مع بدء اعتدال برودة الهواء مما يؤكد أنه في طريقه الصحيح إلى أسفل الهرم.

لم يتوقف أكرم عن الهبوط حتى لاح ضوء النهار في الانتشار وبعد فترة من الوقت شعر بأن يداه وقدماه قد أنهكت تماما من عمليات السقوط والقفز المتوالي من فوق الصخور، هنا تحدث الأب قائلًا يا بني ألا تريد أن تستريح قليلًا صمت أكرم للحظة ثم أجابه: نعم يا والدي يمكننا الاستراحة لبعض الوقت.

أسند كلاهما ظهره إلى صخرة من الصخور بحيث يجلس كل منهم مقابل وجه الآخر ثم سأله الأب بشكل مفاجئ: ألن تخبرني كيف وصلنا إلى هنا؟ لم يستطع أكرم أن يكتم ما يخفيه هذه المرة فهو لا يعلم هل سينجوان من موقفهما هذا أم لا ولذلك قام بالاعتراف لوالده بكل شيء حتى يستريح ضميره.

صمت الأب قليلًا في حزن وألم وعندما همّ أكرم بالتحدث وجد أباه يقول له في أسى:

لقد نسيت وجه أبيك، ثم كرر كلامه في حزن هائل:

لقد نسيت وجه أبيك عندما قمت بتكبيلي بذلك الدّين.

لقد نسيت وجه أبيك عندما أضعت نقود السفر من أجل ربح وهمي.

لقد نسيت وجه أبيك عندما قمت باتباع أصدقاء السوء في البحث عن كنز فاني.

لم يجد أكرم كلامًا يستطيع أن يتحدث به، فالتزم الصمت، ولكن عقله لم يتوقف عن تأنيب نفسه، ثم تحدث إلى والده في رجاء: لقد أخطأت في كل ذلك يا أبي، فأطماعي تسببت في إصابتنا بلعنة ألقت بنا جميعًا في هذا المكان الغريب، أرجو أن تسامحني يا أبي، وقبل أن يجاوب الأب صاح صوت زئير مرعب ....

****

التفتوا إلى مصدر الصوت فوجدوا أمامهم حيوان لم يروا مثله في حياتهم من قبل فأنيابه كانت تشبه أنياب النمر ووجهه يشبه الذئب وجسده يشبه الأسد وكان يتوجه إليهم من خلف الصخور وعندما تأمل فيه أكرم وجد أن الوحش ينظر إلى والده باعتباره أضعفهم ولذلك لم يتردد لحظة واحدة فأمسك أقرب حجر إليه وقام بإلقائه على ذلك الوحش، ولكن الحجر آثار هياجه أكثر ثم انقض على الأب فجأة وسط دهشتهم!!

اندفع أكرم بكل قوته تجاه والده دافعا إياه بعيدا، ولكنهم انحشروا بين الصخور وفي نفس اللحظة اصطدم الوحش بالأرض مكانهم ثم عاود الانقضاض عليهم بشراسة أكبر.

هذه المرة لم يكن هناك مفر من الوحش بحق، فكل من أكرم ووالده ملقيان وسط مجموعة من الصخور أحاطت بهما من كل جانب ما عدا الجانب الذي ينقض منه الوحش عليهم ولذلك لم يجد مفر آخر سوى بالتضحية بنفسه بدلا عن والده فانقض بنفسه على ذلك الوحش...

ظن الأب أن ابنه قد هلك لأول وهلة ثم فجأة وجد ابنه يلتف على انقضاضة ذلك الحيوان ويقوم بالقفز على عنقه من الخلف خانقا إياه بذراعيه القويتين، ولكن

الوحش قاوم بعنف والتف بجسده أكثر من مرة ليسقطه من فوقه ولكنه تشبث أكثر برقبته، لأنه يدرك لو أفلت منه سوف يقضي عليهما، ومع الوقت بدأت قوة الوحش في التراخي حتى فقد الحركة، ولكنه ظل ممسكا برقبته حتى شعر أنه قد مات وانتهى...

نهض أكرم من تحت الوحش ثم قام بجره من ذراعيه ليلقيه من فوق الصخور وبعد انتهائه من ذلك جلس يلتقط أنفاسه بجوار والده وهما في حالة من الذعر، ثم تحدث إليه قائلًا: لا تخف يا أبي... لقد قضيت على ذلك الوحش.

مضت فترة من الوقت وهما يجلسان لأخذ قسط يسير من الراحة، ثم تسائل الأب في حالة من الأسى ما الذي سنقوم به الآن؟ فأجابه واجمًا: لا أعلم يا أبي كل ما علينا هو الهبوط من على ذلك الهرم وبعد ذلك سيتبين لنا أين المخرج، وفجأة اهتزت الأرض بشدة تحت أقدامهما، وفي اللحظة التي تليها بدأت صخور الهرم في التحرك بشكل دائري في اتجاه مختلف لكل درجة من درجات صخور الهرم، ولذلك قام أكرم على الفور بحمل والده على ظهره والإسراع بالقفز فوق الصخور حتى لا يصطدم بأي حجر، فقد كانت الصخور تقترب منهم بشكل مخيف، وأثناء ذلك أدرك أن رحلة الهبوط هذه المرة لن تكتمل طالما هذه الصخور تتحرك بهذا الشكل، ولكنه لم يستسلم، وأكمل قفزهُ من درجة إلى أخرى، واستمر في ذلك فترة من الوقت وقد شعر خلال ذلك بأن الصخور بدأت في التباطؤ، وبعد قليل توقفت تماما، ولكن للأسف فقد توقفت في نقطة ليس بجانبها أو أسفلها أو حتى تعلوها أي أحجار يمكن تسلقها أو الهبوط عليها، مجرد صخرة واحدة يقفون عليها وسط الفراغ، هنا شعر أكرم بتبدد أي أمل في النجاة فجلس يبكي في انهيار تام.

بعد مرور عدة دقائق ساد الصمت خلالها، وجد والده يربت على كتفه قائلًا: سنجد حلا للخروج من ذلك المأزق بإذن الله، فرد عليه في يأس: من أين سيأتي الحل؟ ولا يوجد أي طريق يمكن أن نسلكه لقد هلكنا هنا على ذلك الهرم.

مرت الدقائق التالية عليهم كأنها عمرا كاملا ثم تحرك أكرم متوجهًا إلى حافة الصخرة التي يقفون عليها ثم نظر ببصره متفحصا بدقة ما حوله فوجد بداية لدرجة

من الصخور على مسافة عدة أمتار لم يكن ينتبه إليها فتجدد الأمل لديه للحظة ثم تبدد مرة أخرى فالمسافة التي تفصله عنها لن يستطيع أبدا أن يجتازها، وبعد تفكير عميق وصل إلى يقين أنه لا يوجد طريق آخر غير أن يقوموا بالقفز لتلك الصخرة، ولذلك أخبر والده بما يفكر به، فرد عليه وهل تثق في قدرتك على فعل ذلك؟



أجابه في حيرة: لا أعلم حقيقة يا والدي، فتحدث الأب في حزم: إذًا سنفعلها، هنا نظر أكرم إلى والده في حزن ثم تحدث: هل تسامحني يا أبي؟ فأجابه الأب بضمه إليه ثم قال: لقد سامحتك بالفعل يا بني.

وقف أكرم يفحص الطريقة التي سيقفز بها، فهي قفزة واحدة، ولكن تحمل مصيرهم إما أن تنجيهم أو تقضي عليهم فلا مجال للخطأ، ولذلك استجمع كل

شجاعته وقام بحمل والده ثم أخذ نفسا عميقا وهو يتراجع إلى الخلف عدة خطوات، انطلق بعدها يعدو خطوة فالأخرى، ثم ضرب بقدمه الأرض بكل قوته، ويا لها من قفزة مستحيلة قام بها، فقد سبح جسده في الهواء لعدة أمتار، ولكنه للأسف لم يستطع أن يصل إلى الصخرة، فقد أقترب منها لدرجة كبيرة، ولكن قوة اندفاعه قد انتهت، ولذلك وجد نفسه يهوي هو ووالده من ذلك الارتفاع.

****

لقد اعتقدوا للحظة بأن أمرهم قد انتهى، ولكن المفاجأة أنهم وجدوا الصخرة تتحرك في اتجاههم وفي اللحظة التالية كانت يد أكرم تتشبث بحوافها....

جاهد بشدة لرفع جسده هو ووالده لبعض الوقت حتى استطاع أخيرا أن يتسلق تلك الصخرة، ثم ألقيا بجسديهما عليها، وبعد دقيقة من التقاط الأنفاس توجه الابن للاطمئنان على والده، وعندما لم يجد به أي أصابات تحدث إليه في تعجب: كيف تحركت تلك الصخرة تجاهنا؟ فأجابه الأب في اندهاش: وكيف سنعلم فهذا المكان كل شيء به غير منطقي ثم أردف: المهم أننا نجونا من ذلك الموقف والحمد لله.

وبعد مرور عدة دقائق بدأ ضوء النهار في التلاشي سامحا لظلمة الليل في الانتشار، في ذلك الوقت تحدث الابن لوالده في عطف: سنستريح قليلًا حتى الصباح فلن نستطيع استكمال هبوطنا ليلا، وخلال ذلك ظهر ضوء قوي للغاية قادم من أسفل الهرم فقام أكرم بالنظر إليه، فوجد شيئا يشبه الباب يشع نورا ذهبيا، هنا تذكر الباب الذي عبر من خلاله فصاح مهللا، فسأله أباه عن سبب فرحته فأخبره بأنهم قد اقتربوا من الهبوط من على هذا الهرم وأن خلاصهم سيكون من خلال ذلك الباب الذي يشق نوره تلك الظلمة، فتهللت أسارير الأب بذلك الخبر المبهج.

ثم دار بينهم حديث تذكروا من خلاله أحد المواقف التي حدثت بينهم منذ فترة طويلة للغاية حول سقوط أكرم وهو صغير أثناء قطفه لثمار إحدى الأشجار التي تقبع خلف منزلهما، فابتسم الأب قائلًا: أما زلت تتذكر ذلك الموقف فرد عليه باسما: بالطبع أتذكره يا أبي، فبمجرد سقوطي من على الشجرة حتى وجدت كافة الجيران يتجمعون حولي وينهالون علي بالضرب لما قمت به، فقد أكلت كافة ثمارها، هنا

انفجروا من الضحك متناسيين كل ما مرو به وإنهم يجلسون على صخرة في مهب الريح، وبعد قليل أحتضن الابن أباه ليحميه من برودة الجو وخلال لحظات وجدوا أنفسهم يغطوا في نوم عميق.

بمجرد ما بزغ ضوء الصباح حتى بدأ أكرم في استكمال رحلة الهبوط الشاقة مع والده والتي استمرت حتى قاربت الشمس على الغروب وفجأة لمح أكرم منحدر أملس على جانب الصخور بزاوية يمكن التزحلق عليها فهو ممتد حتى أسفل الهرم ولذلك قام بالتوجه إليه فورًا وعند الوقوف على بداية ذلك المنحدر شعر بالخوف فمن يعلم ما هو أسفل ذلك الطريق؟ ولكنه لا يوجد مفر من المخاطرة، وبمجرد ما نظر إلى والده أدرك أنه يوافقه في ذلك الرأي، ولذلك اتخذ قرارا سريعا وقفز مع والده إلى ذلك المنحدر.

****

وجد أكرم نفسه يهبط بسرعة رهيبة على ظهره ويداه ضمة والده في قوة ثم مرت الدقائق كأنها مئات السنين فأغمض عيناه وترك نفسه للسقوط.

فجأة وجد قدماه تصطدم بشيء رخو فنظر إلى قدميه فوجدهم مغروزتان في الرمال وعندما رفع بصره لأعلى اكتشف أنه يقف على الأرض أسفل الهرم.

تهللت أسارير أكرم لقد هبط أخيرا من على ذلك الهرم، ثم حاول أن يكتشف ما حوله ولكنه لم يستطع رؤية أي شيء فالضباب كان ينتشر بشكل كبير ولذلك توجه فورا تجاه الباب المضيء، وبمجرد ما اقترب منه حتى أضاء بشكل قوي للغاية، مما جعل كل من أكرم ووالده يضعا أيديهما على أعينهما ثم قام أكرم بمد يده فاتحا لهذا الباب ثم أشار إلى والده بالدخول وبمجرد ما دلفا إليه حتى وجدا خندقًا صخوره بيضاء اللون لم يشاهدا أجمل منها من قبل وبعد عدة خطوات سمعا صوتًا هائلًا يضربهم من جميع الجهات فوضعوا أيديهما على آذانهما ولكن الصوت ظل في الارتفاع بدون توقف حتى سقط كل منهما أرضا من قوته وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى فقدوا الوعي بما حولهم....

الباب الخامس

«لا تُضيّع إيمانك»

لم يبق من زملاء زاهر إلا هو فجميعهم عبروا أبوابهم، فنظر نحو الباب المخصص له وكان يشع بنور أزرق قوي ثم نقل بصره إلى حارس الكنز قائلًا له بغرور أعتقد بأني سوف أعثر على أكبر كنز خلف هذا الباب فأجابه الرجل الغريب بصوت لا يسمع وهو يتحرك متراجعا إلى الغرفة التي دلفوا منها جميعًا «بالتأكيد سيكون أكبر كنز».

لم يهتم كثيرًا زاهر بموقف حارس الكنز بل إن قيامه بترك الغرفة جعله يشعر بارتياح أكثر لأن تواجده من الأساس يهدم كل ما يؤمن به من علم، وفي اللحظة التالية أمسك بمقبض الباب ثم دلف بداخله ومثلما حدث مع أصدقاءه أغلق الباب تلقائيا خلفه هنا مط شفتيه في ضيق ثم قام برفع المصباح الذي معه حتى يرى المكان الذي دلفِ إليه فوجد أنه في خندق ضيق الجدران منخفض السقف يكاد أعلى رأسه يصطدم به ثم نظر إلى الأرض أسفل قدميه فوجدها تمتلئ بالرمال فمد يده ليكتشف طبيعتها فوجدها ناعمة للغاية والغريب أنها كانت رطبة إلى حد كبير ثم مد يده بالمصباح ليرى أي رسومات على الجدران يمكن أن تقوده إلى مخرج من هذا الممر ولكنه لم يجد شيئا فاستمر في التقدم في الممر برهة من الوقت وفجأة سمع صوت ما يأتيه من أمامه، فنظر مجددا على ضوء المصباح فلم ير شيئا، وما هي إلا ثوانٍ قليلة وأثناء محاولته معرفة مصدر الصوت، وجد تدفق مياه قوي يجتاح قدميه من الأمام، هنا شعر بالقلق فهذه المياه إذا لم يكن لها مصرف، فسوف تزيد حتى تغمر المكان، وبالطبع سيكون الموت هو مصيره المحقق، لذلك أخذ يركض إلى الأمام محاولا الوصول لأى مخرج، ولكن المياه لم تتوقف بل زادت قوة حتى وصل منسوبها إلى صدر زاهر فأخذ يسبح بيد واحدة والأخرى ممسكة بالمصباح، ومنسوب المياه لا يتوقف، بل يرتفع ويرتفع حتى انطفئ ضوء المصباح وحل الظلام، هنا تيقّن أنه لن ينجو أبدا، وفجأة لمح انبعاث قبس من النور يأتي من بعيد ولكن مصدر الهواء أصبح قليلًا للغاية فأخرج أنفه لاصقا إياه بسقف الخندق مستنشقا آخر ما تبقى به من الهواء، ثم غاص في المياه عائما تجاه الضوء ....

أخذ صدر زاهر يأنّ من احتياجه للهواء، ولكنه لم يتوقف عن السباحة فهو يعلم أنه إذا توقف فسوف يهلك وفجأة انعكس تيار المياه تجاه مصدر الضوء، فوجد المياه تسحبه إليه فنظر إلى ذلك المصدر ليعلم ما هو فاكتشف أنه قادم من فجوة بجدار الخندق، وفي اللحظة التالية كان جسد زاهر يعبر تلك الفجوة بقوة اندفاع المياه وأثناء ذلك اصطدمت رأسه بجدار الفجوة ففقد الوعي.

****

أفاق زاهر فجأة فحاول أن يفتح عينيه، ولكن شدة الضوء، أجبرته على غلقها مجددا فاعتدل بجلسته واضعا يديه على وجهه ليخفف من حدة الضوء، ثم نظر حوله ليرى المكان الذي به فأصابته الدهشة، لقد كان يرقد على شاطئ بحيرة تمتد حتى مرمى بصره، فنظر خلفه فوجد أرضًا تمتلئ بالأشجار، ثم رفع رأسه إلى السماء، وهنا شعر بالصدمة، فقد كان يوجد باب معلق في الهواء، يومض بنفس الضوء الأزرق الذي عبر منه منذ قليل....

هنا ملأت رأسه التساؤلات هل هو في حلم، أم ما يراه فهو حقيقي؟ وكيف يكون هناك باب معلق في السماء؟! وما هذا المكان؟! هذا بالتأكيد يخالف كل معتقداته العلمية؟!

ثم نظر إلى ساعته فلم يجدها، فتحدث مقنعًا نفسه: بالتأكيد سقطت في ذلك الخندق، هنا أدرك أن كل ما اتفق عليه مع أصدقاءه حول الالتزام بتوقيت العودة قام هو بمخالفته، فموضع الشمس يخبره بأنه في منتصف النهار ولذلك ظل بعض الوقت يحاول أن يجد تفسير علمي لما يحدث، وعندما لم يجد، قرر أن يكتشف المنطقة التي وجد نفسه بها...

****

قام بمحاولة اكتشاف مياه تلك البحيرة فمد يده ليملئها بالمياه وبعد أول رشفة تبين له أن مياه البحيرة عذبة وليست مالحة، فقام بشرب القليل منها ثم التفت ناظرا خلفه، فوجد أشجار ترتفع إلى عنان السماء، ولكنها تقع بعيدا إلى حد ما عنه،

فقام متوجها نحوها مقررا أن يمشي في خط مستقيم حتى لا يحيد عن المنطقة التي بها الباب المعلق في السماء، وبمرور فترة من الوقت، تبين أن أشجار تلك المنطقة مماثلة للأشجار التي يعرفها، فمنها ما غصونها تمتلئ بالفواكه، ومنها ما ينبت الخضروات، هنا تنفس زاهر بارتياح ثم تحدث إلى نفسه: على الأقل سوف أجد ما أكله في هذا المكان، واستمر في طريقه حتى وصل إلى منطقة الأشجار المرتفعة فنظر إليها فوجد عروقها ضخمة للغاية، ولكنها تتشابه مع أشجار النخيل بأن لها بروز على سيقانها يمكنه من التسلق عليها إذا رغب في ذلك، ثم قام بمحاولة اكتشاف وجود أي رموز، أو كلمات يمكن أن تكون محفورة على عروق تلك الأشجار، أو أي أحجار حوله فلم يجد، وبعد برهة من الوقت شعر بالجوع فتناول بعض الثمار من الأشجار صغيرة الحجم وأثناء ذلك هبط الظلام بشكل سريع للغاية مما أثار دهشته وما هي إلا لحظات وحل الظلام على المنطقة بأكملها وهنا طرح على نفسه بعض التساؤلات، وهو ينظر للسماء كيف هجم الليل في هذا الوقت القصير، هل حدث كسوف للشمس؟!!

وعندما لم يجد أي تفسير لتساؤلاته، قرر أن يجلس في مكانه بجوار أحد الأشجار فهو لا يستطيع أن يتحرك في هذا الظلام الدامس، وبعد قليل بدأ ينبعث ضوء بسيط من الاتجاه الذي أتى منه، فحاول أن يتبين مصدر هذا الضوء، ولكن ارتفاع الأشجار حالت دون ذلك، فاضطر أن يتحرك تجاه بصيص ذلك الضوء، حتى انتهت منطقة الأشجار فنظر للسماء فوجد أن مصدر الضوء هو القمر، ولكنه يختلف كثيرًا عن القمر الذي يعرفه فحجمه كان أصغر بكثير، وضوءه يغامره شيء من احمرار اللون، وأثناء ذلك بدأ يتهافت على أذنيه صوت أشبه بالصفير، يأتي من جانبه، ولكنه لم يعر له اهتماما، وبعد قليل من الوقت، وصل إلى المنطقة التي بها الباب المعلق الذي وجده ما يزال يشع نورا كما تركه، وهنا لم يجد سبيل سوى الاستلقاء بجسده على شاطئ البحيرة، والتفكير في أمرين كيف يجد الكنز، وكيف يخرج من هذا المكان، وفي أثناء ذلك قد غلبه النعاس....

لم يستغرق نوم زاهر ساعات قليلة، ثم وجد ضوء قوي يضرب وجهه ففتح عيناه فوجد الشمس في منتصف السماء، ولكنه لم يندهش كثيرًا لقد أدرك أن الوقت في

هذه المنطقة ليس كما اعتاد عليه فتعاقب الليل والنهار هنا أسرع بكثير من المكان الذي قدم منه، أنه للأسف يقف أمام حالة يتسارع الزمن فيها بشكل لا مثيل له، ثم تنهد قائلًا يا له من مكان عجيب ...

لقد أدرك أنه يجب عليه اكتشاف طبيعة هذا المكان بأكمله بأسرع وقت قبل أن يحل عليه الليل، فأخذ يركض باتجاه الأشجار التي رآها في اليوم السابق حتى وصل إليها وبدأ يتسلقها على الفور، ولكن رحلة الصعود كانت شاقة للغاية، فتلك البروز المتواجدة على جوانب الشجرة بها أشواك حادة، أصابت جسده بالعديد من الجروح، وبالرغم من خطورة الوضع وعلمه أنه إذا انزلقت قدمه فسوف يسقط من هذا الارتفاع الشاهق، إلا أنه لم يستسلم وظل يتسلق الشجرة، حتى وصل إلى نهايتها وفجأة وجد ما لم يتوقعه أبدا.

لقد وجد أن هذه المنطقة عبارة عن جزيرة، يحيط بها من أحد جانبيها بحيرة، تمتد إلى مالا نهاية، أما الجهة الأخرى، فيوجد بحرًا هائلا، ترتفع أمواجه وتتصادم بشدة بصخور تلك الجزيرة، ولكن لحسن الحظ أن هذا الجزء من الجزيرة مرتفع عن البحر بشكل كبير للغاية، فعلى الرغم من ارتفاع الأمواج لعشرات الأمتار، إلا أنها لا تصل إلى سطح الجزيرة ثم مد بصره فوجد البحر يمتد على طول ساحل الجزيرة، وهنا توقف أمام هذا المنظر العجيب!!، فموقع التقاء كل من البحيرة والبحر على جانبي تلك الجزيرة يهدم له كل ما تعلمه في يوم ما، فمنسوب البحيرة يمتد بموازاة سطح الجزيرة، أما البحر الذي يقابلها فمنسوبه أقل بكثير، مما يجعل مياه البحيرة أشبه بشلال متلألئ يصب في البحر الذي يقبع أسفله....

ثم التف بوجهه فلمح بعض ثمار تلك الشجرة والتي تتشابه مع شكل ثمار النخيل، ولكن حجمها كان أكبر وأثقل بكثير فحملهم في ملابسه، ثم بدأ في رحلة الهبوط وعند ملامسة قدماه الأرض، أخذ في الركض إلى المنطقة التي بها الباب المعلق وبمجرد وصوله كان الليل قد خيم على المكان بأكمله.

جلس زاهر يفكر قليلًا هل يمكن أن يكون ذلك الرجل الغريب قام بخداعه؟ وجعله يختار الباب الخاطئ؟ ولكن كيف ذلك فهو من اختار هذا الباب؟!!، ولماذا ينتابه هذا

الشعور بأن الكنز مخبأ في جزء ما بهذه الجزيرة؟



وعندما لم يجد إجابة تحدث إلى نفسه مجددا: يجب أن أقوم بترتيب وضعي هنا الأول قبل أن أقوم بالبحث عن الكنز ثم تابع أحاديث نفسه: لن أستطيع أن أستمر هكذا بالنوم في العراء وعدم امتلاكي لأي معدات للحفر أو حتى الدفاع عن نفسي.

فقد شاهد العديد من الحيوانات المسالمة بها والتي تشبه الكثير من الحيوانات التي يعرفها ولكن يمكن أن تظهر فصيلة متوحشة منهم تقوم بمهاجمته، ولذلك قرر أن أول شيء يقوم به، هو أن يقوم بتجهيز بعض المعدات لمساعدته، وبالفعل أخذ على الفور بتنفيذ ما خطط له، فبدأ في تجميع الصخور الصغيرة وصقلها ببعض حتى

أصبحت حادة للغاية ويمكن استخدامها، ثم بعد ذلك توجه إلى منطقة الأشجار، وقام بتقطيع بعض فروع وعروق هذه الأشجار، والبدء في صنع البيت الخاص به، وبعض الأسلحة، وأثناء ذلك تعاقبت عليه الأيام سريعا وهو لا ينام إلا قليلًا، وخلال ذلك الوقت قد نما شعر ذقنه ورأسه بشكل ملحوظ ولكنه لم يهتم لذلك فقد كان كل همه أن ينتهي من العمل الذي يقوم به حتى انتهى من بناء البيت الخاص به.

تنهد في ارتياح لقد قام أخيرا بتأسيس بيته الصغير، الذي أقامه مواجها للباب المعلق حتى يتمكن من متابعته على الدوام، ثم ألقى جسده على السرير الذي صنعه من غصون وأوراق الأشجار، ثم أغمض عيناه واستغرق في نوم عميق للغاية.

استيقظ زاهر من نومه مقررا شيئًا واحدًا، ألا وهو البحث عن الكنز، فقام على الفور بتقسيم الجزيرة لمجموعة من المناطق، على ألا ينتقل من منطقة إلى أخرى إلا بعد الانتهاء من الأولى، وبالفعل ذهب مغامرًا إلى رحلة البحث عن الكنز....

****

منطقة تلو منطقة ولا يجد شيئًا، حتى بدأ يتسلل اليأس إلى قلبه، ولكنه استمر في البحث ناسيا كل شيء عن أصدقائه، فلم يعد يهمه سوى أن يعثر على ذلك الكنز، فكثف بحثه بشكل أكبر، فأصبح يبحث حتى في الظلام فلم يعد هبوط الليل عليه يشغله كثيرًا فقد استطاع أن يتعلم كيف يشعل النار، وأثناء انتهائه من بحثه بأحد المناطق والانتقال لمنطقة أخرى، تهافت إلى مسامعه صوت الصفير الذي استمع إليه من قبل، هنا شعر ببعض القلق، فهو لا يعلم مصدر هذا الصفير؟! كما أن النهار لم يشرق بعد وأثناء تفكيره ظهر الصوت مرة أخرى، فتحدث إلى نفسه: أنه صوت عجيب بالفعل صفير عزب جذاب لأقصى درجة، هنا وجد نفسه يتحرك في اتجاه الصفير على الرغم من مخاوفه تجاهه وكلما تحرك أكثر، علا الصفير أكثر حتى أصبح لا ينقطع، وأثناء ذلك وعلى ضوء شعله اللهب التي صنعها، تبين له من بعيد منطقة مختلفة في تكوينها عن باقي مناطق الجزيرة فهي خاوية إلى حد ما من الأشجار، وفجأة وجد شيئًا يلتف على قدميه ويسحبه بشدة، مما أخل بتوازنه فسقط على ظهره، ولكن رأسه اصطدمت بالأرض بعنف، ففقد الوعي على الفور.

****

لم يمر إلا قليل من الوقت وانتشر ضوء النهار، ثم أفاق زاهر من إغمائه، وبالرغم من ألم رأسه الشديد إلا أنه حاول أن يفتح عيناه، ولكنه لم يستطع، وبعد لحظات قليلة من محاولاته السيطرة على ذلك الألم، قام بتحريك يده بشكل تلقائي لكي يضعها على رأسه فاصطدمت بشيء ما وهنا تمكن بصعوبة من فتح عيناه ليرى ما اصطدمت به، ولكن ما رأه جعله يتجمد في مكانه من الهلع.

لقد رأى نفسه يرقد على كومة من العظام، وبعد لحظات من الرعب قام برفع رأسه ليتبين طبيعة هذا المكان فهاله ما وجد، لقد وجد نفسه في منتصف دائرة تحيط بها أشجار من جميع الجهات، هذه الأشجار كانت غريبة الشكل لأقصى حد، فهي مصقولة السيقان يتجاوز طولها الثلاثة أمتار، وفي نهاية كل واحدة منهما رأس لم ير أغرب منه فقد كان يتوسطه شق بعرض الرأس، ملئ بالأشواك الحادة، ولكن الغريب أن هذه الأشجار يخرج من أسفل سيقانها فروع كأنها حبال تنتشر في كامل محيط المنطقة، ثم شعر بألم بقدمه فنظر إليها ليعلم سببه فوجد أحد تلك الفروع ملتف حول قدمه هنا أدرك الغرض الحقيقي من تلك الفروع فهي للقنص!!! ولكن كيف ذلك هذه أشجار وليست وحوش؟! وفجأة جاءه الرد الذي لم يتوقعه، لقد اهتز ساق إحدى الأشجار المقابلة له، ثم انشق الساق بشكل مفاجئ لافظا مجموعة من العظام!

شعر زاهر برعب حقيقي، فمنظر العظام يشير إلى أنها ترجع إلى أحد الطيور الكبيرة الضخمة، التي تقطن في هذه الجزيرة منذ زمن، هنا أيقن أن هذه الأشجار أكلة للحوم!! ولكن لماذا لم تهاجمه حتى الآن؟!

بعد برهة من التفكير، استنتج أن سبب عدم مهاجمة تلك الأشجار له أنها في حالة سُبات الآن فهي تأكل ليلا فقط، أما في وقت النهار فتقوم بعملية هضم الطعام الذي تناولته ليلا ولحسن حظه أنه تم صيده قبل شروق النهار مباشرا وإلا كان قد تم أكله على الفور من قبلها، ثم قرر أنه يجب عليه أن يهرب من هذا المكان الخطر بأسرع وقت ممكن قبل أن يحل الليل مجددا، ولكن فرع الشجرة مازال ملتفًا حول قدمه بشدة وكلما حاول افلات قدمه ضاق عليه الفرع أكثر، هنا أخذ يبحث حوله عن أي

أداة يستطيع بها قطع ذلك الفرع، ولكن للأسف لم يجد شيئا لقد فقد الأدوات التي معه عند سقوطه، وفجأة لمح بجانبه عظمة طويلة إلى حد ما، وحادة من إحدى طرفيها فأمسكها وانهال بها على الفرع الممسك بقدمه.

انفجرت مادة من الفرع لونها قاتم للغاية، ولكنه لم يتوقف كثيرًا للتحقق من ماهيتها، فأخذ في ضرب الفرع حتى قطعه وأفلت قدمه، وأثناء محاولته النهوض وجد أحد تلك الأشجار تقوم بالاهتزاز بشكل عنيف، ثم بدأت بإطلاق الصفير الخاص بها، ولكن بشكل أكثر حدة، هنا أدرك أنه بقطعه الفرع قد قام بإيقاظها مجددًا.

أخذ يبحث عن مفر من ذلك الموقف الخطير، ولكن باقي الأشجار استيقظت هي الأخرى، ثم بدأت في إطلاق فروعها صوب اتجاهه للإمساك به.

قام زاهر بتفادي فروع تلك الأشجار، ولكن العجيب أن الموقف لم ينحصر فقط في تلك الفروع، فمرونة سيقانهم جعلتهم يبدؤون في المهاجمة برؤوسهم أيضًا، والتي ارتسم على فمها البشع المليء بالأشواك ابتسامة الرعب والفزع.

هنا لم يجد إلا أن يقوم بمهاجمة رأس أقرب شجرة إليه، ولذلك أثناء هجومها عليه، قام بضربها بيده الممسكة بالعظمة الطويلة بكل قوته، فغاصت العظمة حتى نهايتها داخل رأس الشجرة، هنا أطلقت صفيرا هائلًا، ثم سقطت هامدة، ولكن صفيرها جعلت جميع الأشجار الأخرى تهاجمه بضراوة، ولكنه لم ينتظر لحظة واحدة فأخذ يركض بكل قوته ويقفز مسرعا، ليتفادى فروع الأشجار التي أرادت الثأر منه، وبمجرد هروبه ظل يركض في هلع ولا ينظر خلفه، حتى وصل إلى البيت الخاص به فألقى بجسده المنهك داخله وهو يرتج في عنف غير مصدق إنه قد نجا من فخ تلك الأشجار.

وبعد قليل بدأ يزول ذلك الشعور لديه وقد حل الليل بظلمته على المكان، فقام بالخروج من بيته ثم جلس أسفل الباب المعلق ناظرا له في غضب وغيظ ثم تحدث لنفسه ساخطا: لقد بحثت كثيرًا ولم أجد أي كنز؟ أين هذا الكنز الذي ليس له مثيل الذي وجدت كلماته على ذلك الباب اللعين؟!! هل يمكن أن يكون الكنز موجود فقط خلف الأبواب الأخرى التي اختارها أصدقائي؟؟ يا لهم من محظوظين، ويا لي أنا من

تعس الحظ، ليس أمامي الآن إلا الخروج من هذه الجزيرة، ولكن كيف أستطيع ذلك؟ وهذا الباب معلق في السماء وبعد لحظات من التأمل لاحظ أن الباب ليس مرتفعا للغاية، وهنا وردت على ذهنه فكرة، برغم من بساطتها إلا أنها هي الحل الوحيد للخروج من هذا المكان وهذه الفكرة عبارة عن زرع شجرة من تلك الأشجار، الهائلة الارتفاع ومع التتابع السريع للنهار والليل، ستنمو الشجرة بشكل سريع، ويصل طولها إلى الارتفاع المناسب، عندئذ يمكنه من تسلقها حتى يبلغ المدى الذي يمكنه من فتح هذا الباب.

تحمس زاهر للفكرة بشكل كبير فتوجه على الفور إلى البيت الخاص به، لقد كان يحتفظ بمجموعة من تلك الثمار التي قطفها من فوق الأشجار العملاقة، فقام بتقطيع إحداهما مستخرجا النواة الخاصة بها، ثم ذهب مسرعا إلى نقطة محددة أسفل الباب المعلق مباشرة، وبدأ الحفر حتى عمق مناسب، ثم وضع النواة بداخل تلك الحفرة رادما عليها بالرمال، إنه يعلم الآن أن الصبر والانتظار سيكون هو مخرجه الوحيد من هذا المأزق، ثم أخذ نفسا عميقا للغاية.

****

وتتابعت الأيام بسرعة رهيبة حتى نسى التاريخ والوقت والزمن، ولكنه خلال ذلك لم يتوقف لحظة عن البحث عن الكنز، لقد أصاب زاهر بالفعل، عندما اعتقد أن تتابع الوقت، سيؤدي إلى نمو الشجرة، التي قام بزراعتها بشكل سريع، ولكن ما لم يضعه في الحسبان أنه سيكبر عمره أيضا بنفس الطريقة.

فقد أصبح زاهر شيخا طاعنًا في السن، ارتسمت التجاعيد على ملامح وجهه، واكتظت لحيته حتى لا تكاد ترى عيناه، التي انطفأ نورها، أما شعره فقد فاض بالشيب، ولكنه بالرغم من ذلك لم يستسلم أبدا، فنمو الشجرة كان يعطيه دائما الأمل في النجاة من تلك الجزيرة، ثم جاء اليوم الذي بلغ فيه طول الشجرة مستوى بلوغ الباب المعلق، هنا نظر إلى ارتفاع الشجرة الكبير وطول ساقها الضخم، ثم تحدث لنفسه في زهو: أخيرا نجحت فكرتي، ولكن كيف سأتسلق هذه الشجرة؟ لقد دب الوهن بي فلم أعد شابا صغيرا في السن كما كنت، وبعد لحظات من التفكير وجد أنه

لا يوجد لديه سبيلًا آخر فهذا ما كان يتمناه وينتظره حتى يصل إلى الباب المعلق.

لم يتردد كثيرًا زاهر فقد قام بإحضار العديد من الحبال، التي صنعها خلال السنوات التي مرت عليه، وبعد أن قام بربطها جيدا بجسده، جلس منتظرا اشراق النهار عليه، فهو يعلم أن ضعف نظره لن يجعله يستطيع التسلق ليلا، وبعد مرور القليل من الوقت، لاح ضوء النهار في الظهور وهنا بدأ في رحلة التسلق.

أخذ وقت طويل في الصعود حتى قارب النهار على الانتهاء، وبالرغم من اصطدام تيارات الهواء الشديدة به إلا أنها لم تثنه عن المضي في طريقه، فظل يتسلق حتى وصل لنهاية ارتفاع الشجرة، هنا اجتاحته فرحة عارمة، صاح على إثرها لقد نجحت أخيرا في الوصول إلى الباب المعلق.

مد يده لفتح الباب غير مهتما بالضوء المنبعث منه، والذي لم يتوقف أبدا منذ بداية تواجده في هذه الجزيرة وعندما لمست يداه مقبض الباب، شعر زاهر ببرودة شديدة تسري في يده، ولكنه لم يتوقف وبدأ في دفع الباب للأمام والخلف، لكي يفتح معه، ولكنه أبي أن يستجيب له، فحاول مجددا ثم حاول مجددا ساعة بعد ساعة ويومًا بعد يوم، وهو معلق فوق الشجرة، مستخدما كل أداة معه لثقب الباب أو كسره، ولكن كل محاولاته باءت بالفشل حتى خارت قواه ولم يعد قادرًا على المحاولة مرة أخرى.

شعر بالجوع الشديد يغمره بالكامل، فقد تتابع عليه أكثر من يوم في محاولاته غير المجدية، وهنا نظر إلى غصون الشجرة عسى أن يجد فيها بعض الثمرات التي يتغذى عليها، ولكنه للأسف لم يجد شيئًا فتحدث لنفسه في ألم: حتى الشجرة لا تثمر؟!!! لقد قمت بزراعة شجرة فاسدة لا تفيد في شيء فما أشبهها بحياتي الفارغة والغير مثمرة.

ثم قرر أن يهبط من على الشجرة وبالفعل بدأ في النزول حتى استقر على الأرض.

مرت بضعة أيام وزاهر لا يستطيع الحراك من البيت الخاص به فقد تملكه الإحباط واليأس ثم بدأ في التفكير حول كل ما مر به في حياته متحدثًا مع نفسه:

لقد اعتقدت أني بمحاولتي الانتقام من رؤسائي سيتحقق لي ما أتمناه.

لقد اعتقدت أني باستغلالي لأصدقائي والتغرير بهم سيتحقق لي ما أتمناه.

لقد اعتقدت بأن إيماني فقط بالعلم سيتحقق لي ما أتمناه.

لقد أخطأت في كل ذلك، فإهمالي للإيمان الحقيقي والركض وراء أهوائي وأطماعي هو الذي ألقى بي في هذا المكان، وحيدا مزموما بلا رفيق يعطف علي، هذا جزائي الذي أستحقه على تضييعي لإيماني الحقيقي...

وأثناء ندمه وتأنيبه لنفسه سمع أصوات صاخبة تأتي من الخارج، فنهض بصعوبة متحركا خارج الكوخ ليرى مصدر تلك الأصوات، وعند خروجه وجد سربًا من الطيور، تأتي من ناحية البحيرة، وتعبر فوق رأسه متجهًا إلى ناحية البحر، الذي يتواجد في الطرف الآخر من هذه الجزيرة، هنا تسائل كيف أتت هذه الطيور من هذا الاتجاه؟؟! وأثناء استرساله في تساؤلاته، سقطت عليه ثمرة من أرجل إحدى تلك الطيور، فنظر إليها فلم يجدها تشبه أي من الثمار التي توجد في هذه الجزيرة، هنا أدرك أن هذه الطيور أتت من يابسة أخرى تقبع خلف هذه البحيرة هنا تسائل كيف لم يفكر في اكتشاف هذه البحيرة؟ وكيف لم ترد هذه الفكرة عليه من قبل؟ هنا تشجع واتخذ قرار عبور تلك البحيرة، فبدأ في صنع قارب خشبي وخلال فترة ليست بالقليلة كان قد تمكن من صنع قارب صغير، يمكن من خلاله الإبحار به، فأخذ في إعداد كل احتياجاته من الغذاء، والآن أصبح مستعدا لذلك التحدي الجديد، ثم بدأ رحلته، وبعد مرور بعض من الوقت، بدأت الجزيرة تتلاشى على مرمى البصر حتى اختفت تماما.

****

ظل ينظر إلى مياه البحيرة الممتد حوله في كل جانب، ثم شعر بالقلق من أن تكون فكرته هذه خائبة أيضا مثل فكرته السابقة، وبعد قليل شعر بأن القارب يتحرك بسرعة أكبر من المعتاد، فنظر حوله فلم يجد سببا لذلك، وما هي إلا لحظات حتى وجد فجوة كبيرة تظهر أمامه من بعيد، في منتصف البحيرة أشبه بالدوامة تصب فيها المياه من كل جانب، هنا شعر بخوف حقيقي فسقوطه في هذه الدوامة كفيل

بالقضاء عليه، فحاول بكل قوته أن يُجدف عكس اتجاهه، ولكن التيار كان شديد للغاية، وما هي إلا لحظات ووجد نفسه يسقط في قلب الدوامة.

غاص زاهر داخل المياه بعنف وكلما حاول أن يصعد أجبره اندفاع المياه على البقاء بداخلها حتى خارت قواه وبدأ في ترك نفسه للغرق وأثناء ذلك وجد اندفاعًا مفاجأ للماء أسفله مما دفعه مرة واحدة إلى سطح الدوامة هنا تفاجأ بما رأى.

لقد وجد الدوامة قد اختفت تماما فهو لا يرى إلا مياه البحيرة فقط، ثم نظر حوله عسى أن يجد القارب الخاص به، ولكنه لم ير شيئًا سوى المياه من كل جانب، لقد أصبح وحيدا وسط هذه البحيرة الموحشة هنا بكى زاهر بكاءً شديدا ثم رفع يداه إلى السماء صارخا:

«أنقذني يا إلهي»



ثم ألقى نفسه على ظهره تاركا مياه البحيرة تحركه كما شاءت، وبعد قليل من الوقت وجد شيئًا ما يصطدم بقدمه، فرفع بصره فوجد ما لم يخطر له على بال، لقد وجد القارب الخاص به، لكن كيف حدث ذلك ألم ير القارب يتحطم أمامه داخل تلك الدوامة!

هنا تحرك صاعدا على ظهر القارب تاركا إياه يقوده إلى أي اتجاه.

بعد قليل من الوقت، شعر أن القارب يسبح في اتجاه محدد، فأمعن في النظر في الاتجاه الذي يتحرك ناحيته فتبين له شيء أشبه بالأشجار، وبعد لحظات قليلة بدأت الرؤية تتضح لقد عاد مجددا إلى الجزيرة الخاصة به، هنا فرح زاهر فعلى الأقل لن يموت غرقا.

واستمر القارب في التحرك حتى رسى على الشاطئ الذي به الباب المعلق، وبمجرد نزوله من عليه حتى قام بالسجود على رمال الشاطئ شاكرا لله على إنقاذه، ويا له من شعور مريح شعر به، وبمجرد ما رفع رأسه حتى شعر بانبهار حقيقي؟!!! فقد كانت المفاجأة بأنه رأى الباب المعلق بالسماء مستقرًا على الرمال بجوار رأسه مباشرة، هنا اندفعت الدموع من عيني زاهر ثم تحدث قائلًا الحمد لله لقد نجاني ربي، ثم توجه بشكل مباشر نحو الباب ممسكا بمقبضه بقوة، ولكن هذه المرة لم يشعر بالبرودة التي شعر بها من قبل، ولأول وهلة شعر أن الباب لن يفتح معه كما فعلها المرة السابقة، فقام بشد الباب بقوة ففتح مرة واحدة هنا تنفس بارتياح، ثم نظر ناحية الجزيرة نظرة أخيرة، نظرة تذكر فيها كل ما مر به منذ قدومه إليها.

تحرك زاهر عابرا الباب، وفي اللحظة التالية انغلق بشكل تلقائي خلفه، فنظر حوله فوجد نفس الجدران الضيقة، وبعد قليل من تحركه في الخندق، سمع أخر صوت يتمني سماعه، صوت يعلمه جيدا وفجأة وجد المياه تندفع بشده من خلفه، فبحث حوله عن أي مخرج، ولكنه لم يعد شابا كما كان من قبل، ولذلك بمجرد ما امتلأ الخندق بالماء، لم يستطع المقاومة كثيرًا، وخلال لحظات كان فاقدا للوعي.

الفصل الرابع
الكنز

انتفض الأصدقاء جميعًا مرة واحدة، فوجد كل منهم نفسه نائما على سريره في بيته، فهتفوا جميعًا: يا له من كابوس رهيب، ثم تحدث كل منهم إلى نفسه بذات السؤال: هل كل ما مروا به من أهوال كان حلمًا أم حقيقة؟!

****

قام (خالد) بالنظر إلى نافذة غرفته فوجد نور الصباح ينشر ضوءه على المكان فنهض بخفة ونشاط من فوق سريره في سرعة فائقة، لم يكن يستطيع أن يقوم بذاك من قبل فتسائل في تعجب كيف تمكن من هذا؟!

وأثناء توجهه إلى غرفة ابنته، وجد نفسه يتحرك أيضا بسهولة ويسر، ولكنه لم يقف كثيرًا أمام اندهاشه، فكل ما كان يريده في تلك اللحظة الاطمئنان على عائلته، وعلى الفور دلف إلى الغرفة المجاورة له، فوجد ابنته مستيقظة وتقوم باللعب على سريرها مع والدته، فتنهد في ارتياح قائلًا يا له من حلم غريب، هنا وجدهما ينظران إليه في دهشة بالغه فقال لهما لماذا تنظران إلى هكذا؟!! فأجابته ابنته في انبهار: لقد تغيرت كثيرًا يا أبي!!، فنظر لنفسه في المرأة فوجد جسده وقد كسته العضلات، كما أنه يقف بثبات بدون ارتعاش، هنا قال لابنته اقتربي مني، وفي سهولة بالغة قام بحملها، هنا هتفت الابنة كيف استطعت أن تفعل ذلك يا أبي؟! لقد تركتك أمس وأنت لم يكن لديك المقدرة على حملي هكذا؟!

هنا أدرك أن ما مر به كان حقيقي، وليس حلما كما تصور، لقد انتصر على قلقه ووساوسه، التي كاد تقضي عليه لقد تغلب أخيرا على مخاوفه، واستعاد قدرته وثقته بنفسه مجددا، ثم تحدث بسعادة إلى ابنته وهو يحملها أعتقد أني شفيت يا ابنتي تماما، لن يكون هناك خوف مرة أخرى ردت الابنة: نعم يا أبي لا تخف من شيء مرة أخرى فرد عليها قائلًا: بالتأكيد يا ابنتي بالتأكيد، والآن سوف أقوم بالخروج قليلًا لمعرفة بعض الأمور وأثناء تغييره لملابسه بغرفته لمح شيئا يلمع بجوار سريره

فاقترب منه ليراه بشكل أوضح فأصابته الصدمة لقد رأى سيف القائد؟!

وفي أقل من دقيقة كان يقف خارج منزله، يستقبل ضوء الشمس على وجهه في ارتياح ولم يكن في باله سوى شيء واحد وهو مقابلة صديقة زاهر ليعلم منه كيف حدث له كل ذلك.

****

نهض (رمزي) فورا من على السرير الخاص به، وعندما نظر إلى ساعته لم يجدها تدور ببطء كما اعتاد في ذلك الحلم العجيب بل وجدها تدل على العاشرة صباحا، فبحث في أدراج غرفته على أي مبالغ نقدية يمكن سداد جزء منها تكاليف عملية ابنه ولكنه للأسف لم يجد إلا قليلًا من النقود، هي كل ما تبقى له من أمواله التي أضاعها على شرب الخمور، فأمسكها بيده ثم خرج من منزله يعدو مسرعا تجاه المستشفى التي يرقد بها ابنه المريض ظل يركض تحت أشعه الشمس لفترة من الوقت، حتى كادت أنفاسه أن تنقطع، ولكنه لم يستسلم فهو يريد أن يرى ابنه، ويطلب منه أن يسامحه على أنانيته واستهتاره تجاهه، وذلك خشية ألا يراه مرة ثانية، فظل في ركضه حتى وصل إلى المستشفى، فسأل عن الغرفة التي بها ابنه، فتم إخباره أن حجرته في الدور السابع، فأخذ يقفز فوق السلالم حتى وصل إليها هنا وجد ابنه يرقد على السرير نائما، فجلس إلى جواره، ثم بدأ في تحسس وجهه بحب وعطف الأب ممسكا بكفه الصغير، ثم انسابت الدموع من عيناه، في تلك اللحظة أتاه صوت زوجته من جانبه، وهي تقول له في غبطة: أشكرك على سدادك مصاريف عملية ابننا يا رمزي التفت إليها على الفور في دهشة واستغراب فوجدها تسترسل في هدوء: لم أكن أتخيل أنك ستقوم بذلك حتى حضر إلي صديقك (غريب الهيئة) مع أول ضوء النهار، وقد قام بسداد كامل مصاريف العملية والعجيب أن جميع من في المستشفى وجدتهم مكرسين أنفسهم في خدمة إجراء عملية ابننا، حتى انتهينا منها منذ قليل، وبفضل الله تمت العملية بنجاح، تحدث رمزي قائلًا في تعجب، وهل غادر هذا الرجل أم مازال هنا؟ فأجابته على الفور: لقد غادر بعد خروجنا مباشرة من غرفه العمليات، صمت الجميع لبرهة ثم تحدث إلى زوجته:

أرجو أن تسامحيني عما فعلته بكم، وقبل أن تجاوبه وجدا ابنهما يفتح عيناه وينظر إليهما مبتسمًا، ثم تحدث بصعوبة قائلًا: هل عثرت على الحصان يا أبي؟!

عقدت الدهشة لسان رمزي، فردت والدته في غرابة: أي حصان تقصده؟!! فأجابها في غموض: أبي يعلم ما أقصده، في هذا التوقيت تأكد رمزي أن كل ما مر به هو وابنه حقيقة ولم يكن حلما، ولكن كيف حدث هذا؟! هل تلاقت أرواحنا جميعًا في رؤية تشبه الحقيقة، قطع أفكاره صوت ابنه: هل ستحضر الحصان يا أبي؟ فأجابه: نعم يا بني سأحضره إليك، ولكن يجب أن تستريح وعندما تخرج من المستشفى ستجده ينتظرك إن شاء الله في بيتك والآن سأذهب قليلًا وسوف أعود لك ثانية وقبل أن يغادر وجد زوجته تقول له والدموع في عيناها لقد سامحتك، فنظر إليها في امتنان مبتسما، وربت على كتفها، وبعد قليل أخبرهم بأنه سيقوم بعمل ما وسيعود إليهما مجددا، وخلال مغادرته المستشفى كان في ذهنه أمر واحد، هو العثور على صديقه زاهر لمعرفة كيف حدث له هذا كله؟!

****

ظل (شوقي) ينظر إلى ضوء النهار المنبعث من شرفة غرفته، غير مصدق أن كل ما مر به كان مجرد حلم وأثناء شروده سمع طرق شديد على باب المنزل، فنهض من سريره متوجها إليه، وأثناء ذلك نظر في يده فوجد ساعته سليمة، وليست تالفة فهز رأسه متحدثا بالتأكيد كان حلما، ثم قام بفتح باب المنزل فوجد أخاه هشام يقف أمامه وعلى وجهه ابتسامة كبيرة، عانق الأخان بعضهما البعض بحرارة بالغة، وبعد قليل من التحدث عن أحوال كل منهما تذكر شوقي أمر(الدَين) الذي في رقبته لأخيه، فبدت على وجهه علامات الضيق، هنا قام هشام بسؤاله هل هناك ما يكدر صفوك؟ فأجابه شوقي بالنفي لكي يطمئنه، ولكنه ظل قلقًا من أن يقوم بسؤاله عن أمواله وأثناء حديثهما جاء السؤال الذي تمنى ألا يأتي أبدا.

هل أحضرت النقود كما أخبرتك في اتصالي الهاتفي؟ لم يدر شوقي كيف يجيب على أخيه، ولكنه أخيرا قرر أن يصارحه بكل شيء وبعد أن حكى له كل ما فعله حتى استيقاظه من ذلك الحلم العجيب، أعتقد أن أخاه سوف ينفجر فيه غضبا لما

فعله بأمواله، ولكن وجد أخاه ينظر إليه في ذهول، فقال له: لماذا تنظر إلي هكذا؟!، فأجابه في تعجب: أتعلم يا أخي لقد مررت بالأمس بنفس الحلم الذي مررت أنت به، رد شوقي في أندهاش: ولكن كيف حصل ذلك لنا هل هي مصادفة أن نقوم نحن الاثنان بخوضه؟!

وعندما لم يجدا أي تفسير لما حدث، تحدث شوقي في أسف: أريدك أن تسامحني على ما قمت به تجاهك، أغمض هشام عيناه للحظات ثم قال: لقد سامحتك يا أخي، ثم أردف، ولكن الآن لا أعلم كيف سأتعامل مع الرجل البائع لقد اتفقت معه أن يحضر إلى هنا، والآن ليس هناك نقود نعطيها إياه، فما هو الحل؟ قبل أن يجيب شوقي على أخاه سمعا صوت طرق على باب البيت فقاما باستقبال الزائر فإذا هو الرجل البائع يقف أمامهم ويمسك حقيبة قديمة بيده، فدعاه شوقي للدخول.

ساد الصمت قليلًا لا يدري كل من الأخوين كيف الاعتذار للرجل عن هذا الموعد ثم قطع هذا الصمت تحدث الرجل إليهما قائلًا ألم يجد صديقكم هذا ذو الوجه حاد الملامح حقيبة أجدد من هذه ليضع فيها النقود، نظر الأخان إلى بعضهما في دهشة بالغة من حديث الرجل، فقاما بسؤاله من هو هذا الصديق الذى تتحدث عنه؟! فرد قائلًا: لقد حضر إلى منزلي اليوم صباحا رجل غريب الأطوار أخبرني أنه صديق لكما ثم أعطاني هذه الشنطة وقال لي أنها تحتوي على أموال هي ثمن شراء المنزل فقمت بفتحها أمامه للتأكد من النقود، وعندما قمت بذلك وجدته شبه يأمرني بضرورة مقابلتكما اليوم وبعدما قام بالانصراف حضرت إليكم على الفور، هنا ابتسم شوقي في ارتياح لقد تم تسديد الدين الذي في رقبته لأخيه، فقام باحتضانه لبعض الوقت وخلال ذلك وقف الرجل يتأملهم في تعجب، وبعدما انتهت الجلسة مع الرجل وأنصرف، قرر شوقي أنه لا بد من أن يقوم بمقابلة صديقه زاهر ليفهم منه كيف حدث كل هذا، ولذلك طلب من أخيه أن ينتظره لحين عودته ثم توجه مباشرة لبيت صديقه.

****

لم يكن في بال (أكرم) سوى الاطمئنان على والده فلم يعد يعنيه هل كل ما مر

به حلم أم حقيقة ولذلك قام بالنهوض سريعا من سريره متوجهًا نحو غرفة والده وبمجرد أن فتح باب الغرفة حتى وجده نائما، فتنفس في ارتياح ثم اقترب من والده واضعا يده علي وجه أبيه متحسسا إياه ثم حدّث نفسه قائلًا لن أنسى وجهك يا أبي مرة ثانيه، وأثناء ذلك سمع صوت صياح شديد خارج بيته، إنه يعلم من الذي يصيح عليه بهذا الصوت، إنه بالتأكيد السيد كاظم، ولكنه لن يترك والده يتحمل مشاكله بعد الآن، سوف يتحدث مع الرجل ويخبره بأن يقوم بنقل الدَين الذي عليه بدلا من والده، ثم توجه فاتحا باب بيته فوجد الرجل الدائن يقف أمامه، فبادر بالتحدث إليه: سوف أتحمل المسئولية وأقوم بسداد كامل الدين عن والدي، هنا قاطعه الرجل وهو يضحك: لقد تم سداد الدين بالفعل!! فرد في دهشة متسائلا: كيف حدث ذلك؟! أجاب الرجل: لقد حضر إليّ رجل لم أر مثله من قبل منذ قليل وقام بسداد الدين بأكمله، وطلب مني أن أقوم بتسليمك كافة الأوراق التي وقعها والدك عندي، والآن تفضل وخذ أوراقك، استلم أكرم الأوراق منه وشكره ثم أغلق الباب، وعندما التفت وجَد والده يقف خلفه يقول له هل حضر الدائن؟ فأجابه أكرم نعم يا أبي ولقد انصرف، فقد قام صديقا لي بسداد (الدين) الخاص بنا فرد الأب في تعجب ولماذا قام صديقك بذلك؟!! أجابه في ذهول: لا أعلم يا أبي، ولكني سوف أذهب لمقابلة صديقا لي لأعلم منه كيف حدث ذلك؟!

والآن اطمئن يا أبي لقد انتهت قصة السيد كاظم نهائيا، فرد الأب وهو ينظر تجاه ابنه في عطف وامتنان: أعلم يا بني أن الأمر انتهى، فقد تكبدت مشقة كبيرة لمساعدتي في ذلك، ثم أردف وهو ذاهب لغرفته أرجو أن تستريح قليلًا من مشقة الهبوط من فوق ذلك الهرم، عقدت المفاجأة لسان أكرم فلم يستطع أن يقول شيئًا وخلال ثوان كان الأب قد أغلق باب غرفته وعلى وجهه ابتسامة ارتياح كبيرة للغاية، هنا قام الابن بالتحرك خارجا من منزله وفي ذهنه أمر واحد مقابلة صديقه زاهر، الذي يمكن أن يجد عنده حل لهذه الألغاز!

****

وصل الأصدقاء تباعا إلى منزل (زاهر) وفي اللحظة التالية كان الجميع يقفون

أمام المنزل، يتعانقون ويتسامرون وخلال ذلك حاول كل منهم الطرق على باب منزل صديقهم، ولكن لم يجب أحد، وبعد قليل أخذوا يتساءلون اين ذهب صديقهم؟!

تحدث أكرم: هل من الممكن أن يكون متواجدًا في المسجد المقابل لمنزله؟ فأجابه الجميع: لا نعتقد ذلك فلم نشاهده يذهب إلى المسجد من قبل، فتابع أكرم قائلًا في استنكار: يا له من خاسر! ثم أردف: كيف يكون المسجد قريبا منه إلى ذلك الحد ولا يذهب إليه وأثناء حديثهم فوجئ الجميع بما لا يتوقعونه!!

لقد وجدوا صديقهم زاهر، يخرج من المسجد حقًا ويتجه نحوهم في ثبات.

وقف جميع الأصدقاء ينظرون إليه في دهشة بالغة، ثم توجهوا إليه بغتة بسيل من التساؤلات، فرد مبتسما في هدوء: صبرا قليلًا يا أصدقائي ،ثم دعاهم إلى دخول منزله وبعدما جلسوا جميعًا، علت همهماتهم، فقال لهم مطمئنا: أنا مثلكم بالضبط، لقد استيقظت فوجدت نفسي أرقد على سريري، وعندما نظرت إلى صورتي في المرآة وجدت أني مازلت شابا، فأجهشت في البكاء مدة طويلة، ثم نهضت متوجها إلى المسجد لأحمد ربي وأستغفره عن بعدي عنه طوال سنوات حياتي، وبالطبع أنتم متعجبين، لهذا ولكن الذي لا تعلموه أني قد مريت بتجربة مريرة لأقصى درجة، تجربة علمتني أن لا أضيع إيماني مرة أخرى، لقد عشت حياة طويلة للغاية في ذلك الهرم، ثم بدء في سرد كل ما مر به وبعدما انتهى، بدأ كل صديق من الأصدقاء في سرد حكايته حتى انتهوا جميعًا، صمت الجميع برهة من الوقت وهم في انبهار من كل حكاية تم قصها أمامهم، ثم قطع الصمت سؤال شوقي: لكن كيف حدث كل ذلك لنا؟ هل من الممكن أن نشترك جميعًا في حلم واحد بكل ما يحمله من تلك الأهوال وعندما نستيقظ منه نجد أحداثه تلاحقنا جميعًا؟!!، فرد زاهر: نحن لا نستطيع أن نفسر ما حدث لنا، ولكن الذي أعلمه جيدا أننا تركنا جزء من أرواحنا هناك بداخل ذلك الهرم.....

وفجأة سمع الأصدقاء طرقعة شديدة تبعها نورا هائلا في منتصف حلقة مجلسهم قد أغشى أبصارهم للحظات وعندما فتحوا أعينهم وجدو بابًا مضيئا أمامهم مباشرة ويقف أمامه (حارس الكنز) وقبل أن يتحدث أحدهم وجدوا الرجل يبادرهم

بالحديث في حزم: لا لم يكن حلما، كل ما مررتم به كان حقا حقيقيًا، فأطماعكم هي التي قادتكم إلى مصير قد كاد أن يقضي عليكم جميعًا، حتى ظهرت عليكم ملامح التغيير وتبدلت الأمور بداخلكم فأظهرتم الشجاعة والوفاء والإخلاص والمحبة والإيمان فاكتسبتم الثقة بالنفس والمعنى الحقيقي أن تكون أبًا وأخًا وأبنًا وزوجًا وعندما ضاقت بكم الأمور وكدتم أن تهلكوا، قمت بالتدخل بأمر من السماء، فكنت الصوت الذي أيقظ خالد من مخاوفه في مواجهة الوحش،والقيت السلم داخل الفجوة حتى يستطيع رمزي الخروج من المستعمرة ليهرب من تلك الكائنات المتوحشة، وعندما سقط شوقي القيت إليه الحبل المعلق بجدران البئر ليتعلق به هو وأخاه، وقمت بتقريب الحجر عندما قفز أكرم وهو يحمل أباه ليسقط عليه، كما أرسلت الطائر الذي ألقى بالثمرة إلى زاهر لأقوده إلى الإبحار داخل البحيرة.



حدق الجميع في انبهار شديد من حديث حارس الكنز، الآن تأكدوا أن كل ما مروا به كان حقيقي، هنا اندفع زاهر يسأله قائلًا: ومن الذي أرسل إليّ القارب بعدما تحطم؟

فأجابه حارس الكنز في هدوء: ألم تعلم بعد؟

هنا أدرك زاهر ما الذي يعنيه فانسالت الدموع من عينيه، ثم تحدث حارس الكنز إليهم في اطمئنان وحزم: لقد ساعدتكم على إيقاظ ضمائركم، والآن «احتفظوا

بكنوزكم ولا تفقدوها»، ثم ابتسم إليهم وفي اللحظة التالية كان يلتفت ليفتح الباب المضيء، وبمجرد عبوره انغلق خلفه الباب مشعا ضوءا باهرا فأغلقوا أعينهم من قوته وعندما فتحوها كان الباب المضيء قد اختفى تماما من المنزل....

****

وقف الأصدقاء خارج المنزل ينظرون إلى بعضهم البعض، في سعادة واطمئنان لقد تأكدوا من حقيقة الأمر ولم يعد يقلقهم أي شيء وأثناء ذلك قرر خالد أن يبدأ حياته من جديد وأن يعود لحياته السابقة مع ابنته ووالدته، أما رمزي فقد وجد الحصان الأبيض يأتيه من بعيد، فأسرع باتجاهه ليمسك به ويتجه معه نحو المستشفى حيث ينتظره ابنه، وبالنسبة لشوقي فقد ذهب إلى أخيه الذي ينتظره في المنزل، أما أكرم فقد تحرك باتجاه منزله ليعيش مع أبيه، أما بالنسبة لزاهر، فقد أتاه اتصال هاتفي من رئيس البعثة أخبره فيها باختفاء الباب الحجري؟!! ولذلك تم الغاء أي أعمال للخبراء الأجانب بداخل الهرم، وأنه قد تم تكليفه بشكل رسمي باستكمال ما بدأه من اكتشافات، ومعرفة سر اختفاء ذلك الباب، فأخبره زاهر بأنه سوف يحضر إلى العمل مباشرة بعد أدائه لفريضة الصلاة، مما أثار دهشة الدكتور فايز، فلم يعتاد أن يراه يهتم بأداء فروضه يومًا ما من قبل، ولذلك أخبره بأنه سينتظره، وبعد انتهاء المكالمة ابتسم زاهر، فقد تفهم أن الكنز لا يختار سوى من ضل الطريق كي يرشده كما أرشدنا ولهذا «سنحفظ السر للأبد».

ثم سمع صوت الآذان وهو يشق عنان السماء وأجواء المكان فتوجه مباشرة إلى المسجد...

لقد علموا جميعًا الآن المقصود بالعبارة الأخيرة المنقوشة على الباب الحجري...

« ويعلم كل مغامر مبتغاه الحقيقي ».

نعم، فقد علم كل منهم الكنز الخاص به.

الكنز الذي عبروا من أجله جميع الأبواب.

الكنز الذي خاضوا من أجله ملحمة مليئة بالأهوال.

الكنز الذي أوصلهم إلى الحقيقة المطلقة.

إنه ليس مثل أي كنز.

إنه كنز الهرم.

تمت بحمد لله

---

(1) ويكبيديا: في العام ١٩٦٧ قام بالبحث عن الغرفة السرية لدفن الملك خوفو الأستاذ خليل مسيحة الطبيب وعالم الآثار المصري.